جامعـــة الجلفـــــة
كلية الآداب واللغات والفنون

كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم اللغة العربية و آدابها

الأبعاد التداولية في الشروحات الشعرية
العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص : تحليل الخطاب

إعـــداد الطالب :
هيلوفة محمد

إشراف الأستاذ:
بلعدل الطيب

السـنة الجامعية:

2017/2016

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور– الجلفة

كلية الآداب و اللغات و الفنون قسم اللغة العربية و آدابها

الأبعاد التداولية في الشروحات الشعرية
العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص : تحليل الخطاب

أعضـــــاء اللجنـــــــة :

د/.....رئيســــــا

د/-.....مشرفا ومقررا

د/-.....عضوا ممتحنا

السـنة الجامعيــة:

2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

التشكرات

تشكرات

بسم الله الرحمن الرحيم

أوجه شكري وامتناني إلى من هم أحق بالتقدير والعرفان :

أستاذي المشرف الأستاذ الطيب بلعدل

وكل من ساعد ني في انجاز هذا البحث من لحظة ولادته إلى أن اكتمل فجزاهم الله عنا كل خير.

الإهـــداء

الإهــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين))

صدق الله العظيم

الهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة .. إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله .

إلا من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين .....سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى والدتي الغالية حفظها الله

إلى روح أبي رحمـــــه الله

إلى زوجتي و إلى ابنتيّ مريم وآسيا إلى إخوتي وأخواتي

إلى الأقارب والأصدقاء إلى كل أساتذة وطلبة جامعة زيان عاشور إلى كل سقط من قلمي سهوا أهدي هذا العمل .

المقدمة

مقدمة :

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الذي أنزل على عبـــده كتابا محكم الآيات ، وجعله محفوظا لا يتطرق لساحته تحريف ، ولا يشوبه تبديل ولا تزييف ، وهوالذي تولاه برعايته ، واسكت الفصحاء بفصاحته ، وأخرس البلغاء ببلاغته ، والصلاة والسلام على خير الأنام المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وبعد :

تعد التداولية من العلوم اللسانية التي جاءت لتجمع بين التركيب والدلالة والسياق ، بعدما شهدت الدراسات السابقة قصورا واضحا في إجراءاتها ونتائجها .

فالتداولية تعنى بدراسة اللغة في السياق مـــن خـــلال الظـــروف المحيطة بها من مكان وزمان التخاطب ، وهـــذا كي تتضح مقاصد المتكلـــم وإيصال المعاني للمخاطب .

وقد اهتمت التداولية في بدايتها بالخطاب العادي ثـــم توسع مجال اهتمامها ليشمل الخطاب الأدبي ، وعملت على تطوير مفاهيمها النظرية وأدواتها التحليلية في النصوص المختلفة ، وبحسب أغراض المتكلمين والمخاطبين ، وفـــي ضوء هـــذا التطور تسعـــى المقاربة التداولية إلى الإجابة على مجموعة من الأسئلة منها : من يتكلم ؟ والى من يتكلم ؟ وماذا نصنع حين نتكلم ؟ كيف نتكلم بشيء ونريد شيئا آخر ؟ وهل يمكن أن نصل إلى المعنى الحقيقي لقصد ما ؟

ومن هنا جاءت فكرة موضوع البحث الذي هو : " الأبعاد التداولية في الشروحات الشعرية " ، الـــذي يسعى إلى ما توصلت إليه التداولية علـــى أحـــد أبرز الكنوز التراثية المتمثل في " العرف الطيب " ، لكشف ما تختزنه هذه المدونة مـــن أبعاد تداولية ، ومدى قدرة هذا المنهج على استخراج مكنونات النص التراثي العربي ، ومعرفة قصد المتكلم ، والجانب التأثيري في هـــذا الصنف مـــن الملفوظات ، وسعيا مني علـــى إبراز الآليات التداولية التي تستخدم في هذه النصوص .

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع : هو قلة الدراسات التداولية في الشروحات الشعرية .

ونظرا للمكانة التي تتمع بها الشروحات الشعرية مـــن لغة إيحائية ، وأبعاد سياقية ، تثمر لنا حقولا خصبة لهذه المقاربة ، ولآلياتها الإجرائية كأفعال الكلام والاشاريات ، جاء طرح الإشكال كالآتي :

-إلى أي مدى يمكن تطبيق إجراءات التداولية على الشروحات الشعرية ؟

-وهل يمكن للخطاب أن يشكل أفعالا انجازية لها القدرة على التغيير ؟

وقد ارتأيت من كل هذا إتباع المنهج الوصفي وللإجابة عن هذين التساؤلين جاء هذا البحث مقسما إلى :

مقدمة ، وفصلين نظريين ، وفصل تطبيقي ، وخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها .

تناولت فـــي الفصل الأول مفهوم التداولية لغة واصطلاحا ، وأصولها الفلسفية ، وعلاقتها بالعلوم الأخرى ، و الفصل الثاني جاء موسوما بمبحثين : المبحث الأول سيرة أبي الطيب المتنبي وشعره ، أما المبحث الثاني عن سيرة ناصيف اليازجي وأدبه .

أما الفصل الثالث فكان تطبيقا للأفعال الانجازية في كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب .

وختمت الدراسة بخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع .

أما بالنسبة لأهم المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هي : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل لجاك موشلار وآن روبول ، الموسعة الأدبية الميسرة لخليل شـــرف الدين ، نوابغ العـــرب لأبي الطيب المتنبي ، أدبـــاء العرب فـــي الأندلس والانبعاث لبطرس البستاني ، الروائع لفـــؤاد أفرام البستاني ، وكتاب العرف الطيب لليازجـــي .

ومـــن الصعاب التي تكون قد واجهتني وتعد تحصيل حاصل لا جدوى منه ، لذلك يتعين علينا ألا نرصد من هـــذه الصعاب إلا ما كان لافتا ، واللافت فيها هـــو :

-سعة مجال التداولية وامتدادها في معارف كثيرة لسانية وغير لسانية .

-التداخل الحاصل بين الأفعال ، وأوجه التأويل .

وختاما فهذا البحث لا يعدو أن يكون محاولة فيما بدا لنا ، فأحمد الله المعين على ما وفقني إليه ، وأوجه الشكر والجزيل للأستاذ المشرف الدكتور الطيب بلعدل الـــذي كان له الفضل الكبير في انجاز هذا البحث ، فله كل الامتنان والتقدير.

الفصل الأول

1- ماهية التداولية :

إن تقديم تعريف للتداولية ، يلم بجميع جوانبها، ويشملها أمر من الصعوبة بمكان ، ذلك أنها مبحث لساني ، ونظرية لما يكتمل بناؤها بعد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجدها تتقاذفها مصادر معرفية عديدة ، إذ لكل مبدأ من مبادئ التداولية مصدر انبثق منه ، كما أنها تتداخل مع كثير مـــن العلوم الأخرى ، مما جعل كل باحث ينطلق فـــي تعريفها من مجال تخصصه ، ولذلك سنكتفي بإيراد أهم ما جاء في تعريفها فقط [1].

أ- المفهوم المعجمي للتداولية :

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول) ، وله معان مختلفة ، لكنها لا تخرج عـــن معاني التحول والتبدل ، فقـــد ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت 538) : "دول " : دالت لـــه الدولة . ودالت الأيام بكذا . وأدال الله بني فلان من عدوهم : جعل الكرة لهم عليه . وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد ، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم[2] .

وجاء في لسان العرب لابن منظور : " دول" : تداولنا الأمر، أخذناه بالدول . وقالوا: دواليك أي مداولة على الأمر، قال سيبويه :وان شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال .

- ودالت الأيام أي دارت ، والله يداولها بين الناس[3] .

- وجاء فـــي قاموس المحيط للفيروز آبادي : " دول " ، و أدالنا الله تعالى مـــن عدونا : مـــن الدولة . و الإدالة : الغلبة .

[1] - باديس لهويمل : التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد السابع ، 2011 ، ص 156 .

[2] -الزمخشري ، قمحمود بن عمر ، أساس البلاغة ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص 303 .

[3] - ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ، المجلد 11 ، 2010 ، ص 252 .

والدولة لغة في الدلو ، وانقلاب الدهر من حال إلى حال ، وبالتحريك : النبل المتداول[1] .

ونستخلص من كل التعاريف السابقة أن مدار لفظ "دول " هــو الناقل والتحول من حال إلــى حال أو مــن مكان إلى آخر . وقد اكتسب هــذا المعنى من الصيغة الصرفية "تفاعل " التي تدل علــى تعدد حال الشيء .

والتداول في اللغة هو التفاعل الحاصل بين أطراف العملية التواصلية [2].

ب – المفهوم الاصطلاحي للتداولية :

يعود مصطلح التداولية pragmatics بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي شارل موريس الذي استخدمه سنة 1938 ، دالا على فرع مــن فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمية (يؤثر موريس استخدام sémiotic) هــذه الفروع هي :

1- **علم التراكيب:** وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

2- **علم الدلالة :** وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها[3] .

3- **التداولية : pragmatics:** هــي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام بمعنى دراسة اللغة فــي سياقاتها الواقعية ، لا فــي حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية ، وهــي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بهــا ، فــي ظــروف ومواقف معينة ، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم[4] .

---

[1] - الفيروز آبادي ، مجد الدين ، القاموس المحيط ، بيروت ، لبنان ، ط8 ، 2005 ، ص 1001 .

[2] - حليمة بوالريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني "سورة البقرة أنموذجا " ، رسالة ماجستير ، دفعة 2012/2011 ، ص 31 .

[3] - نحلة محمود أحمد ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر ، د ، ط ، 2002 ، ص9 .

[4] - مزيد بهاء الدين محمد ، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي ، تبسيط التداولية ، شمس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2010 ، ص 18 .

وفي تعريف صلاح فضل لها : " التداولية هي الفرع العلمي المتكون من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام"[1] .

أما طه عبد الرحمان المغربي هو أول من أدخل مصطلح التداولية إلـــى الثقافة العربية حيث يقول : وقــد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات " مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا " لأنه يوفي المطلوب حقه ، باعتبار دلالته علـــى معنيي " الاستعمال " و " التفاعل " معا ، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لـــدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم[2] .

وهناك تعريف لساني آخر عند فرانسيس جاك يعــرف التداولية بكونها " دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت "[3].

كما يعرفها آن ماري دبير وفرانسور و ريكاناتي كالتالي :" التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب ، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية "[4].

والتداولية إذن في أبسط تعريفاتها :

هي دراسة للغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب ، للوصول إلى المعنى و إحداث الأثر المناسب ، بحسب قصد صاحبه ، وتبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته للموقف التواصلي الـــذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامـــع له [5].

[1] - أحلام صولح ، أفعال الكلام في نهج البلاغة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير دفع 201.
[2] - طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2000 ، ص
[3] - بلانشيه فيليب ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة صابر الحباشة ، دار الخوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط1 ، 2007 ، ص 19 .
[4] - فرانسوار أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ترجمة : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، المغرب ، د.ط ، 1986 ، ص 2 .
[5] - باديس لهويمل ، التداولية والبلاغة العربية ، ص 159 .

مميزات التداولية :

حـــدد بعض الباحثين ما تتميز به التداولية عـــن غيـــرها مـــن اتجاهات البحث اللغـــوي بما يأتي :

1- التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي أو هي لسانيات الاستعمال اللغـــوي . وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى .

2- ليس للتداولية وحدات تحليل خاصة بها ولا موضوعات مترابطة .

3- التداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية واجتماعية وثقافية).

4- تعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية[1] .

[1] -نحلة محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص 14 .

الأصول الفلسفية للتداولية :

لا أحد ينكر أن "البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوسكسونية وقد تطورت في الولايات المتحدة وانجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة ، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل (إنفاق) نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب مما أدى للتفكير بجد في البعدين الدلالي ثم التداولي [1].

لذا يرى جيفري ليتش " أن في المنهج التداولي لبعض المشكلات"[2]، بقوله : " لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية " [3] ، والدرس التداولي المعاصر ليس له مصدر انبثق منه ، ولكن تنوعت مصادر استصداره إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه ، فـ " الأفعال الكلامية " ، مثلا ، مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام وتيار هو تيار " الفلسفة التحليلية " بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا ، كذلك مفهوم " نظرية المحادثة " الذي انبثق من فلسفة بول غرايس ، وأما " نظرية الملاءمة " فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي .

وبما أن الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو "الأفعال الكلامية " ، فقد بانت من ضروريا التعريف بهذا التيار الفلسفي وبمختلف اتجاهاته واهتماماته وقضاياه ، لأنه يجسد الخلفية المعرفية والمحضن الفكري لنشوء الظاهرة اللغوية موضوع الدراسة . والفلسفة التحليلية لا تعنينا لذاتها ، ولكن ما يهمنا منها هو لحظة انبثاق ظاهرة " الأفعال الكلامية " من قلب

[1] – أحلام صولح ، أفعال الكلام في نهج البلاغة ، ص 8 .

[2] – بن ظافر عبد الهادي ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 2004 ، ص 24 .

[3] – أحلام صولح ، المرجع نفسه ، ص 8 .

التحليل الفلسفي ثم ما انجر عن ذلك من ولادة التيار التداولي في البحث اللغوي ، لأن الفلسفة التحليلية هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية [1].

مفهوم الفلسفة التحليلية :

نشأت " الفلسفة التحليلية " ، بمفهومها العلمي الصارم والذي هو المقصود من إطلاقنا في هذه الصفحات في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا ، على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه GOTTLOB FREGE (1848–1925) في كتابه أسس علم الحساب وكانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأصقاع الأوروبية لا سيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب [2].

ومن أهم التحليلات اللغوية إلي أجراها على العبارات اللغوية وعلى القضايا تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا ووظيفيا هما : اسم العلم والاسم المحمول ، وهما عماد القضية الحملية . والقضية الحملية هي التي تتكون من طرفين : اسم علم ، ومحمول يسند إلى اسم العلم .

والمحمول يقوم بوظيفة التصور ، أي يقوم بإسناد مجموعة الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم . أما اسم العلم فانه يشير إلى شيء فرد معين . فالعلم يؤدي معنى تاما مستقلا دون حاجة إلى لفظ آخر ليتم معناه ، والمحمول يحتاج إلى اسم علم ليعطيه معنى[3].

[1] – صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2005 ، ص 17 .

[2] – صحراوي مسعود ، المرجع السابق ، ص 18 .

[3] – حليمة بوالريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، ص 38 .

هذا وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي :

- الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب .
- الظاهراتية اللغوية بزعامة ادموند هوسرل .
- فلسفة اللغة العادية بزعامة فتغنشتاين [1].

وهذا الفرع الأخير ، أعني " فلسفة اللغة العادية " هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة " الأفعال الكلامية " .

فتغنشتاين وفلسفة اللغة العادية :

تيار فلسفة اللغة العادية هو التيار الذي يهمنا وهـــو من تأسيس لودينغ فتغنشتاين وهو فيلسوف انجليزي من أصل نمساوي (1889–1951) كان طالبا لرسل بمكبريدج . فقد طور رؤية منطقوية ،مستندا في ذلك إلى أسس رياضية وأصبح أستاذا بالجامعة نفسها . نشـــر سنة 1921 " رسالة فـــي المنطق والفلسفة " ، أكد فيها فكرة مفـــادها أن الأقـــوال المنطقية هي من تحصيل الحاصل ، ومن ثمة فهي فارغة من المعنى ، بما أنها لا تحيل على الواقع بل تشكل إطارا صوريا ما قبليا للمعرفة العلمية[2].

وقد شـــارك في حلقة فينا التـــي جمعت فـــي حـــدود سنة 1930، شمل مناطقة تمحورت جهودهم حول برنامج يتسم بتأثره الشديد بأعمال رسل ، وهو برنامج يهدف إلى بناء علم للدلالة متناسق عبر تحليل اللغة .

وعقب سنة 1930 تـــرك لودفيغ فتغنشتاين تحليل البنية المنطقية للغة العلمية ، ليهتم بـــ " اللغة العادية " . ولتحقيق هذه الغاية ، تمسك بموقف نسبوي ، يجعل مهمة الفلسفة ، وصف الاستعمال الشائـــع للغة ، ودراسة حـــالات ورودها ، " ألعاب اللغة

[1] – صحراوي مسعود ، المرجع نفسه ، ص 23 .

[2] –بلانشيه فيليب ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص 30 .

التي تبـــدو عصية علـــى الحصر شديدة التنوع بحيث يعسر تصنيفها ضمن نمـــذجة شاملة " .

فدحض بذلك النظرة الثنائية التي شاعت كثيرا ، والمتعلقة بالصلات القائمة بين الذكر واللغة ، فهما غير منفصلين ، بل يبني أحدهما الآخـــر ، بشكل متبادل ، وهما يجريان تفاعلهما ، لغاية واحدة ، وهي الغاية التواصلية .

ولقد تم التفكير في هذا بعمق،حتى يكون الخطاب الفلسفي واعيا بفخاخ اللغة التي يجب عليه أن يوضح أفكاره بواسطتها ، بشكل ضروري [1].

فكان يرى فتغنشـــتاين أن جميع مشكـــلات الفلســـفة تحل باللغة ، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة ، بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغـــة وإهمالهم لـــها ، وراح يطـــور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة ، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها . ولكن تراث فتغنشتاين لم يكتسب مكانته الحقيقة إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أوكسفورد ولا سيما جون أوستين الذي بدا أثر فتغنشتاين عليه واضحا فـــي كتابه عندما يكون القول هو الفعل مع تلميذه ج . سيرل .

وذلك في استلهامه لبعض أفكار هـــذا الفيلسوف واتخاذها معاييرا وأسسا فـــي دراسة القوى المتضمنة في القول[2] .

فعندما ألقى الفيلسوف جون أوستين " محاضرات وليام جيمس" عام 1955 ، لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات فلقـــد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة ونجح في ذلك بيد أن "محاضرات وليام جيمس " ستكون كـــذلك بوتـــقة التداولية اللسانـــية ، وستمـــثل فيـــها قطب الرحـــى طـــوال ثلاثـــين سنة . فكانت غايـــة بقـــية المحاضرات التي ألقاها أوستين سنة 1955 وضع أحـــد أســـس

[1] – بلانشيه فيليب ، المرجع السابق ، ص 31 .

[2] – صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 24 .

الفلسفة التحليلية الأنجلـــو سكسونية في تلك الحقبة موضع سؤال ، وهو أساس مفـــاده أن اللغة تهـــدف خاصة إلـــى وصف الواقع .

فكل الجمل (عـــدا الاستفهامـــية والأمـــرية والتعجبـــية)، يمكـــن الحكـــم عليها بأنها صادقـــة أو كاذبة ، فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقق فعلا في الكون ، وهي كاذبـــة بخلاف ذلك[1] .

وخلاصة القول أن ظاهـــرة الأفعـــال الكلامية ولدت من رحم المناخ الفلسفي وبالتالي انفتاح مجال التفكير الفلسفي" على اللغة دراسة وفهما وتوضيحا ، كما أسهمت هذه الظاهرة – الأفعال الكلامية – في دراســـة الظواهر الدلالية والتداولية التي كانت مهمـــلة أو مهمشة وبالتالي تم تجـــاوز البنيوية والمواريث السوسيرية إلـــى مرحـــلة لسانية جديـــدة هيأت الأجواء لبروز اللسانيات التداولية[2].

[1] – ان روبول ، جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، تموز (يوليو) ، 2003 ، ص ص 29 ، 30 .

[2] – أحلام صولح ، أفعال الكلام في نهج البلاغة ، ص 12 .

الجهاز المفاهيمي للتداولية :

تقوم التداولية علـــى مفاهيـــم عديدة ، ما يتداوله الدارسون المعاصرون وهي الإشارة ، والافتـــراض السابق ، والاستلزام الحواري ، والأفعال الكلامية ، وســـوف نعرض لهـــذه المفاهيم التداولية فيما يلي :

1- الإشارة :

في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا على السياق الذي تستخدم فيه ولا يستطاع إنتاجـــها أو تفسيـــرها بمعزل عنه ، فإذا قرأت جمـــلة مقتطعة مـــن سياقها مثل سوف يقومون بهذا العمل غـــدا ، لأنهم ليسوا هنا الآن . وجدتها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عـــدد كبير من العناصر الاشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادا تاما على السياق المادي الذي قيلت فيه ،ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه ،وهـــذه العناصر هي : واو الجماعة وضمير جمع الغائبين هم واســـم الإشارة هـــذا ، وظرفا الزمـــان غـــدا ، والآن ، وظرف المكان هنا ، ولا يتضح معنى هذه الجملة إلا إذا عـــرفنا ما تشير إليه هـــذه العناصر، ومثل ذلك أن تجـــد إعلانا غير مؤرخ يقول البيع بالمـــزاد العلني يوم الخميس فلا تعرف عندئذ أي يوم من أيام الخميس يكـــون ، وهل انقضى وقته أو لـــم يزل ، ولكي يكـــون معناه مفهوما فلا بد من معرفة ما يشير إليه بتحديد زمانه بالقياس إلـــى زمان المتكلـــم [1].لأن التلفظ يحدث مـــن ذات بسمـــات معينة ، وفي مكان وزمـــن معينين ، هما مكان التلفـــظ ولحظته [2] . هذه العناصر الاشـــارية أو الإشاريات اختصارا ، ويؤثر فلاسفة اللغة أن يستخدموا للدلالة عليها المصطلح أو اختصارا ، وكان بيرس أول واضع له[3].

---

[1] – نحلة محمود أحمد : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 15 ، 16 .

[2] – بن ظافر عبد الهادي :استراتيجيات الخطاب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، ط1، 2004، ص 81 .

[3] – نحلة محمود أحمد ، المرجع نفسه ، ص 16 .

وأغلب الباحثين قالوا بأن الإشاريات خمسة أنواع : إشاريات شخصية ، وإشاريات زمانية ، وإشاريات مكانية ، وإشاريات اجتماعية ، وإشاريات خطابية أو نصية .

أ- الإشاريات الشخصية :

أوضح العناصر الاشارية الدالة على شخص هي ضمائر الحاضر ، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة علـــى المتكلم وحده مثل : أنا ، أو المتكلم ومعه غيره مثل : نحن ، والضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنـــى أو جمعا ، مـــذكرا أو مؤنثا . وضمائر الحاضر هي دائما عناصر اشارية ، لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما علـــى السياق الذي تستخدم فيه ، أما ضمير الغـــائب فيدخـــل في الإشاريات إذا كان حرا أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي ، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات [1].

ويضيف فلاسفة اللغة بعدا آخر يتمثل في شرط الصدق فإذا قالت امرأة مثلا : أنا أم نابليون فليس بكاف أن يكـــون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع ، بأن تكون هذه المرأة أم نابليون فعلا وأن تكون الجملة قبلت في الظروف التاريخية المناسبة فان لم يتحقق شرط الصدق كانت الجملة كاذبة . وقد نـــبه بيرس إلى أن الإشاريات ينبغي أن تكـــون محددة المـــرجع بتحقق العلاقة الوجودية بين العلامة وما تدل عليه [2].

[1] - نحلة محمود أحمد : المرجع السابق ، ص 17 ، 18 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 18 .

ب- الإشاريات الزمانية :

كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم ، فزمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمـــر علـــى السامع أو القارئ فقولك مثلا بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعـــد شهر أو بعد سنة ، وكذلك إذا قلت نلتقي الساعة العاشرة فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشـــرة صباحا أو مساء من هذا اليوم أو من يوم يليه .

وزمن الفعل نلتقي ينفي أن يكون اللقاء قـــد حدث فعلا ، به يصرف زمن اللقاء إلى زمن لم يمض بعد ، ومثل ذلك كلمات مثل : أمس ، وغدا والآن والأسبوع الماضي ويوم الجمعة ، ومنذ شهر .....الخ ، فهي كلها لا يتضح معناها إلا بالإشارة إلى زمان بعينه بالقياس إلى زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية [1].

ج- الإشاريات المكانية :

إن الشيء يحدد المكان (القرب ، البعد ، الخلف ، الأمام .....) ، هـــو وضعية المتكلم في لحظة الحديث وكذا إشارته .

ويستحيل على الناطقين بالغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل : هدا وذاك ، وهـــنا وهناك ونحوها إلا إذا وقفوا على ما يشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه ، ومثل هذه التعبيرات أمثلة واضحة على أن أجزاء من اللغة لا يمكن أن تفهم إلا فـــي إطار المعنى الـــذي يقصده المتكلم .

فإذا قالت قائلة : " أود العمل هنا " فهل تقصد (في هذا المكتب) أو(في هـــذا المبنى) أو (فـــي هذا الجزء من المدينة) أو (فـــي هـــذا البلد) ، أو تقصد شيئا

[1] - المرجع السابق ، ص 19 ، 20 .

آخـــر غير ذلك ، فكلمة مثل : " here " ، " هنا " لفظ إشاري (وسيلة إشارية في اللغة لا يفسر إلا على حسب الموقع الذي قصدت القائلة الإشارة إليه "[1].

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الإشارة المكانية وهـــو المتكلم ، وكذلك هنا وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلـــى قريب أو بعيد مـــن المتكلم ، وسائر ظروف المكان مثل فوق وتحت ، وأمام وخلف.....الخ ، كلـــها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه [2].

وفلاسفة اللغة يحيلون إلى تمييز كلمات الإشارة إلى المكان من ظروف المكان ، واعتبارهما نوعين من أنواع الإشارة أما اللغويون فيحيلون إلـــى دمجهما ، وجعلهما صنفا واحدا يشار به إلى مكان .

د- إشاريات الخطاب :

قد تلتبس إشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق ، ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات . ولكن منهم من ميز بين النوعين فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل : زيد كريم وهو ابن كرام أيضا : فالمرجع الـــذي يعود إليه زيـــد وهـــو واحد ، أما إشاريات الخطاب فهـــي لا تحيل إلى ذات المرجع ، بل تخلق المرجع فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرتك بقصة أخرى فقد تشير إليها ، ثم تتوقف قائلا : لكن تلك قصة أخرى ، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد .

على هذا التمييز بين إشارات النص والإحالة إلى عنصر فيه ليس حاسما ، ذلك بأن الإحالة في قصاراها ضرب من إشاريات النص ، أو هي أساس فيها .

وقد يبدو طبيعيا أن تستعار إشاريات الزمان وإشاريات المكان لتستخدم إشاريات للخطاب فكما يقال : الأسبوع الماضي يمكن أن يقال : الفصل الماضي مـــن الكتاب ،

[1] – أحلام صولح : أفعال الكلام في نهج البلاغة ، ص 19 ، 20 .

[2] – نحلة محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 22 .

أو الرأي السابق ، وقد يقال : هــذا النص للإشارة إلـــى نص قريب ، أو تلك القصة إشارة إلى قصة بعد بها القول [1].

هــ- الإشاريات الاجتماعية :

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة .

والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة مــن هم أكبر سنا ومقامات من المتكلم ، مثل : فخامة الرئيس ، جــلالة الملك ، سمو الأمــير ، فضيلة الشيخ ، أمــا الاستعــمال غير الرسمي فهو صنفك من هذه القــيود جميعا ، وينعكس هذا في استعمال بعض الضمائر للدلالة على المفرد المخاطب وفي النداء بالاسم المجرد ، أو اسم التدليل أو نحو ذلك ، فضلا عن التحيات التــي تتدرج من الرسمية إلى الحميمية مثل : صباح الخير ، صباح الفل ، .....

وظاهر أن الإشاريات الاجتماعية مــن المجالات المشتركة بين التداولية وعــلــم اللغة الاجتماعي [2].

[1] - نحلة محمود أحمد ، المرجع السابق ، ص 24 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 25 ، 26 .

2 الافتراض المسبق :

يعرف الافتراض المسبق على أنه استدلال أو قضية حقيقتها تؤخذ كمسلمة عند النطق بالجملة وتعمل كشرط مسبق من أجل الاستعمال الجيد لهذه الجملة . وهو ذو طبيعة لسانية ويدخل في المواضيع التي يدرسها علم الدلالة . والمسوغ لدراسته التداولية هو تلك المعلومات التي يحتويها الكلام والتي ترتبط بشروط النجاح التي يجب أن تتوفر لكي يكون فعل التواصل ناجحا . فهو إذا مقيد باستدلالات تداولية تحملها تعبيرات لغوية معينة وعناصر معجمية أو تراكيب لغوية ، ففي المثال : هل توقفت عن التدخين ؟ ففعل "توقف" يتضمن افتراضا مسبقا بأن المخاطب كان يدخن. والافتراض المسبق إذا يشكل جزءا من الخلفية المعرفية التي يتقاسمها المتكلم والسامع لنجاح عملية التواصل .

فإذا كانت هذه الخلفية غائبة بين المتحاورين سيكون من الصعب التحاور بينهما. فالافتراضات جزء مما يبلغ وليست جزء مما يقال ، وعادة ما يميز بين نوعين من الافتراض المسبق :

الافتراض المسبق أو الدلالي والافتراض التداولي فالأول مشروط بالصدق بين قضيتين ، فإذا كانت الأولى صادقة كان من اللازم أن تكون الثانية صادقة . فإذا كان القول صادقا في هذا المثال : المرأة التي تزوجها زيد أرملة لزم أن يكون القول : زيد تزوج أرملة صادقا[1].

أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصدق والكذب ، فالقضية الأساسية يمكن أن تنفى دون التأثير في الافتراض السابق . فإذا قال قائل بيتي جميل ، ثم قال بيتي ليس جميلا . فعلى الرغم من التناقض بين القولين ، فان الافتراض المسبق

[1] – حليمة بو الريش : أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، ص 56 ، 57 .

بأن له بيتا لا يزال قائما في الحالين . فالافتراضات المسبقة إذاً تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التواصلية وهي محتواة في القول إثباتا أو نفيا [1].

3/ الاستلزام الحواري :

انه من أهم جوانب البحث والتحليل التداولي ، لأنه ألصقها بطبيعة البحث فيه وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي ، ولقد كانت بداية البحث فيه مع المحاضرات التي دعا جرايس إلى إلقائها في جامعة هارفارد سنة 1968 ، وعلى الرغم من أن أفكاره لم تكن متماسكة فقد أضحى عمله واحدا من أهم النظريات في البحث التداولي ، وفقد اكتشف جرايس أن الناس في حواراتهم قد يقصدون فعلا ما يقولون ، وقد يتجاوز قصدهم أكثر مما يقولون وقد يكون ما يقولونه نقيضا لما يقصدون فنشأت بذلك فكرة الاستلزام الحواري ، وقد وضع مبدأ أسماه مبدأ التعاون بين المرسل والمرسل إليه ، وهو مبدأ عام يضم تحته أربعة مبادئ فرعية وهي :

أ- **مبدأ الكم :** ويجب فيه أن يجعل المتكلم إسهامه في الحوار بالقدر المطلوب ، دون زيادة ولا نقصان .

ب-**مبدأ الكيف :** لا يجب التلفظ إلا بما هو صحيح وماله دليل .

ج- **مبدأ المناسبة :** يجب فيه أن يتناسب الكلام بالموضوع .

د- **مبدأ الطريقة :** يجب فيه الوضوح والإيجاز والترتيب في الكلام .

بهذه المبادئ يتحقق الهدف ويكون الحوار جادا ، ومثمرا بين المتكلم والمتلقي[2] .

[1] – حليمة بو الريش : المرجع نفسه ، ص 57 .

[2] – عبد الحكيم سحالبة : التداولية امتداد شرعي للسيميائية ، الملتقى الدولي الخامس ، السيمياء والنص الأدبي ، المركز الجامعي ، الطارف ، ص 431، 432 .

4/ الفعل الكلامي :

تعد نظرية الأفعال الكلامية من بين النظريات التداولية التي كان لها صدى كبيرا في مجال الدراسات اللسانـــية بالخصوص بـــل إن التداولية فـــي نشأتها الأولـــى كانت مرادفـــة للأفعال الكلامية .

وقد مرت هذه النظرية بعدة مراحل لعل أهمها مرحلة التأسيس ويمثلها جون أوستين ، ومرحلة النضج والضبط المنهجي ويمثلها جون سيول،وكلاهما من فلاسفة أكسفورد[1] .

ويعـــد أوستين المؤسس الأول لهـــذه النظرية ، وقـــد جمعت محاضراته التي ألقاها فـــي جامعة هارفورد سنة 1955 ، في كتابه " كيف نفعل الأشياء بالكلمات "[2] .

والفعل الكلامي عند أوستين يحتوي علـــى ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا فقد قسم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي :

1-فعل القول (أو الفعل اللغوي) : ويراد بـــه إطلاق الألفاظ في جمل مفيـــدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة .

ففعل القـــول يشتمل بالضرورة على أفعـــال لغوية فرعية ، وهي المستويات اللسانية المعهودة : المستوى الصوتي ، والمستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي.ولكن أوستين يسميها أفعالا :

أ- **الفعل الصوتي** : وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة .

ب- **الفعل التركيبي** : فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة .

ج- **الفعل الدلالي** : فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة ، فقولنا مـــثلا : أنها ستمطر .

---

[1] – أحلام صولح ، أفعال الكلام في نهج البلاغة ، ص 30 .

[2] – محمد محمد يونس علي : مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 34 .

يمكن أن يفهم معني الجملة ، ومع ذلك لا ندري أهي :إخبار بـــ " أنها ستمطر" أم تحذير من "عواقب الخروج في الرحلة " ، أم هي " أمر بحمل مظلة " أم غير ذلك.... إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد" قصد " المتكلم أو " غرضه " من الكلام[1] .

2/ الفعل المتضمن في القول (الفعل الانجازي) :

وهو الفعل الانجازي الحقيقي إذ انه عمل ينجز بقول ما ، وهـــذا الصنف مـــن الأفعال الكلامية هـــو المقصود مـــن النظرية برمتـــها ، ولـــذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال : القوى الانجازية ، ومـــن أمثلة ذلك : السؤال ، إجابة السؤال ، إصدار تأكيد أو تحذير ، وعد ، أمر ، شهادة في محكمة.... .....الخ.

والفرق بين الفعل الأول (أ) والفعل الثاني (ب) هـــو أن الثاني قيام بفعل ضمن قـــول شيء ، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء[2] .

3/ الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول) :

وهو الفعل التأثيري حيث يقول أوستين من هذا عن هذا الفعل لكي ننجز فعل الكلام ، ومن ثم الفعل الغرضي (قوة فعل الكلام) ، لابد أن ننجز نوعا آخر من الأفعال .

فحين نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو فـــي العادة حـــدوث بعض الآثار علـــى مشاعر المخاطب أو أفكاره ، أو تصرفاته .

كما يستلزم ذلك نتائج قد تؤثر على المتكلم وغيره من الأشخاص الآخرين ، وقد يقع لأن نعتمد أحداث هذه الآثار أو النتائج عن قصدنية أو هدف ما [3].

---

[1] – صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 41 ، 42 .

[2] – صحراوي مسعود : المرجع السابق ، ص 42 .

[3] – يسمينة عبد السلام : نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ص 110 .

وقد قدم أوستين للأفعال الكلامية على أساس مـــن قوتها الانجازية يشتمل علـــى خمسة أصناف ، ولم يتردد في القول بأنه غير راض عن هذا التصنيف :

1- **أفعال الأحكام** : وهي التي تتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم .

2- **أفعال القرارات** :وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد،والحرمان، والتعيين .

3- **أفعال التعهد** : وتتمثل فـــي تعهد المتكلم بفعل شـــيء ، مثل : الوعد ، والضمان ، والتعاقد والقسم .

4- **أفعال السلوك** : وهي التي تكون رد فعل لحدث ما كالاعتذار، والشكر والمواساة ، والتحدي .

5- **أفعال الإيضاح** : وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل : الاعتراض ، والتشكيك ، والإنكار ، والتخطئة[1] .

على ما قدمه أوستين لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية . لكنه كان كافيا ليكون نقطة انطلاق إليها بتحديده لعدد مـــن المفاهيم الأساسية فيها، و خاصة مفهوم الفعل الانجازي الذي أصبح مفهوما محوريا فـــي هـــذه النظرية ، حتى جاء جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم بها ، وكان ما قدمه مـــن الفعل الانجازي والقوة الانجازية كافيا لجعل الباحثين يتحدثون عـــن نظرية سيرل في الأفعال الكلامية بوصفها مـــرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عنـــد أوستين ، فقـــد قدم سيرل تصنيفا بديلا لما قـــدمه أوستين مـــن تصنيف للأفعـــال الكلاميـــة يقـــوم على ثلاثة أســـس منهجية هي :

1- الغرض الانجازي .

2- اتجاه المطابقة .

3- شرط الإخلاص .

[1] – نحلة محمود أحمد : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 46 .

وقد جعلها خمسة أصناف أيضا :

1- **الإخباريات :** والغرض الانجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية ، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها .

2- **التوجيهات :** وغرضها الانجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين [1]، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة ، ويدخل في هذا الصنف الأمر ، والنصح ، والاستعطاف والتشجيع .

3- **الالتزاميات :** وغرضها الانجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل . واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الإخلاص هو القصد ويدخل فيها الوعد والوصية .

4- **التعبيريات :** وغرضها الانجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقا للكلمات ، ويدخل فيها الشكر ، والتهنئة ، والاعتذار [2].

[1] – نحلة محمود أحمد : المرجع السابق ، ض 47 ، 49 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 50 .

5-الاعلانيات : والســـمة المميزة لها أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي ، فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداء ناجحا فالحـــرب معلنة ، وثمة سمة أخرى مميزة هـــي أنها تحدث تغييرا فـــي الوضع القائـــم

فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي ، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ، ومن العالم إلى الكلمات ، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص[1] .

[1] – نحلة محمود أحمد ، المرجع السابق ، ص 50 .

علاقة التداولية بالعلوم الأخرى :

1/ علاقة التداولية باللسانيات البنيوية :

إذا كانت اللسانيات البنيوية تدرس اللغة بوصفها نسقا مجردا وبنية مغلقة ، وإذا كانت قد حصرت موضوع الدراسة في اللغة ونظامها الصوتي ، والصرفي ، والنحوي ، والدلالي دون الكلام ، فان التداولية تدرس الكلام في سياقاته المختلفة مركزة على مقاصد المتكلمين ، ومبادئ المحادثة ، والضمني في الحديث ، وإذا كان الكلام مظهرا من مظاهر تحقق اللغة وليس معزولا عنها إلا افتراضا ، فان التداولية تعد مكملة للسانيات البنيوية [1].

يقول جيفري ليتش في كتابه " مبادىء اللسانيات " بأنه سيدرس استعمال اللغة بمعزل عن بنيتها لكن هذه ستكون مكملة للغة نفسها كنظام صوري .

ويطلق عليها ليفنسون " اللسانيات التداولية " معتبرا إياها فرعا من اللسانيات ، فكلاهما يهتم بدراسة اللغة : إما نظامها وإما استعمالها .

وتجدر الإشارة هنا إلى ما حذر منه عبد الرحمن الحاج صالح من الخلط بين البنية والاستعمال قائلا : " فما هو راجع إلى اللفظ له قوانينه الخاصة به غير قوانين استعمال اللفظ – فدراسة هذا الجانب الاستعمالي للغة هو الذي يسميه الأوربيون الآن براغماتيك pragmattique . وأصبح الآن الكثير من اللسانيين الغربيين ومقلديهم من العرب لا يعرفون إلا البراغماتيك بل حصروا كل اللسانيات في هذا الجانب الاستعمالي مقتنعين في ذلك بأن بنية اللغة تفسرها المعاني المقصودة في الخطاب ، وهذا خلط بين ما هو لفظ له بنية قائمة بذاتها – كما قلنا وبين اختيار هذا اللفظ في حال خطابية معينة " . فالدراسة التداولية للغة لا تغني عن الدراسة الشكلية فكل منها يكمل الآخر [2] .

[1] – حليمة بوالريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، ص 62 .

[2] – حليمة بوالريش ، نفس المرجع ، ص ص 62 ، 63 .

2/ علاقة التداولية بعلم الدلالة :

يمثل علم الدلالة فرعا مـــن فروع علم اللسان الحديث ، وبذلك فعلاقته لا تخرج عـــن علاقة التداولية باللسانيات ، فكل من التداولية وعلم الدلالة يبحث فـــي دراســـة المعنى فـــي اللغة ، ومن الضروري بيان حـــدود الاهتمام بالمعنى فـــي علـــم الدلالة وحدود الاهتمام بـــه فـــي التـــداولية ، مـــع أن هـــذه العـــلاقة يشـــوبها كثير مـــن الغمـــوض . لـــذلك فان التمييز بين السيمانتكية و البراجماتية ينطـــوي علـــى ظلال رمـــادية في التطبيق العملـــي حيال تحـــليل المعنـــى الـــذي تؤديه اللغات وهما وان اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى) فـــقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته[1] .

ثم إن الفرق بين " المعاني ، ومقاصد المتكلمـــين (أو مرادتهم) وثيـــق الصلة بالفرق بين علـــم الدلالة ، وعلـــم التخاطب ، فالمعانـــي اللغـــوية (التي هي معـــان وضعية تفـــهم مـــن مفـــردات اللـــغة وتراكيبها) تنضوي في إطار اهتمامات علـــم الـــدلالة ، لأن استنباطها لا يحتاج إلـــى عناصر خارج البنـــى اللغوية ، أما مقاصـــد المتكلمين فلا يمكن التوصل إليها إلا بمعرفة السياقات التي قيل فيها الكلام ومعـــرفـــة المخاطب ، والمخاطب ، وإعمال القدرات الاستنتاجية التـــي يمتلكـــها المخاطب عند التعامل مع الكلام"[2] .

3/ علاقة التداولية بلسانيات النص / الخطاب :

إذا كانت التداولية تـــدرس اللغة فـــي الاستعمال ، فان مهمة لسانيات النص والخطاب أيضا الكشف عن الدلالة وربطها بالسياق المقامـــي الذي أنتجت فيه انطلاقا مـــن التفاعل الاجتماعـــي وعـــلاقات النص بأبعـــاده السوسيو لسانية والثقافية والمعرفية وفي لسانيات النص والخطاب يكون التركيز على الوحدة والانسجام والاتساق . وهذه عناصر ضرورية لإنتاج الـــدلالة والمعنى بمختلف أبعادهما .

[1] – أحلام صولح ، أفعال الكلام في نهج البلاغة ، ص 37 .

[2] – أحلام صولح ، المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

والتركيز على علاقة النص /الخطاب بالسياق يؤكد البعد الدلالي لكن يضعه في إطار التفاعل الاجتماعي . فلسانيات النص/ الخطاب تهتم بانسجام النص وكيف تتصل بالكلمات بعضها ببعض في النص اعتمادا على الإحالات السابقة واللاحقة ، أما التداولية فتركز على الملاءمة ، ومبادئ المحادثة وبخاصة مبدأ التعاون ومبدأ التأدب وكيف يكون الكلام ملائما وواضحا وصادقا ، وكيف يكون الانجاز ناجحا [1].

4/علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية :

كما تتداخل التداولية مع اللسانيات الاجتماعية فكل منهما يدرس أثر العلاقات الاجتماعي بين المشاركين في الحديث وموضوعه ، ومرتبة كل من المتكلم والسامع ، واثر السياق اللغوي في اختيار آليات لغوية بعينها [2].

5/علاقة التداولية باللسانيات النفسية :

من الموضوعات التي تدرسها اللسانيات النفسية " كيفية اكتساب اللغة وإحداثها وفهمها ، ويسعى اللسانيون النفسيون إلى التعرف على طبيعة محتوى المكونات الشخصية للقدرة اللغوية البشرية ،واكتشاف الطرائق التي تربط بها المعرفة اللغوية بالاستخدام الفعلي للغة ".

ذلك بالاستناد إلى " حدة الانتباه ، وقوة الذاكرة الشخصية ، والذكاء ، وبعض جوانب الطبع ، وهي كلها عناصر تشرح ملكة التبليغ الحاصلة في الموقف الكلامي ولها تأثير كبير في أداء الأفراد ، وبذلك فان التداولية تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية في هذا المجال " .

وفي الأخير تبقى التداولية مدينة التيارات المختلفة تتوسل بها في معالجة اللغة بعدها أهم ما يميز واقع الإنسان [3].

---

[1] – حليمة بو الريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني ، ص 64 .

[2] – حليمة بوالريش ، المرجع نفسه ، ص ص 64 ، 65 .

[3] – أحلام صولح ، أفعال الكلام في نهج البلاغة ، ص 42 .

الفصل الثاني

أولا/ سيرة المتنبي :

أ- نشأته وحياته :

ولد المتنبي في يوم من أيام سنة 303 هـ – 915 م ، في حي من أحياء الكوفة ، يعرف باسم " كندة " لا يسكنه إلا سقاء أو نساج ، وكان هذا الحي في الجانب الشرقي من الكوفة ، وكان مؤلفا من ثلاثة آلاف بيت من بيت رواء ونساج[1].

اسمه احمد بن الحسين الجعفي ، عربي صريح .كنيته أبو الطيب ولقب بالمتنبي لأنه ادعى النبوة على بعض القبائل الضاربة في بادية السماوة بجبال الكوفة [2] .

والمتنبي هو : " أبو الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفـــي . وعلى رواية ابن خلكان وابن حجر في الميزان : هو أحمد بن الحسين بـــن مرة بـــن عبد الجبار"[3] ، وهذا ما جاء في كتاب " الموسوعة الميسرة " لـــ خليل شرف الدين .

نشأ المتنبي بالكوفة ويقال ، أن والـــده كان سقاء يبيع الماء في حواريها ، ثم ارتحل الوالد بولده إلى أرض الشام .

ولا يوجد ما يؤكد حرفة والده – السقاية– غير بيتين من الشعر ، كان يرددهما الحاقدون من الوراقين ومن الشعراء المفلسين[4] ، ويكلفون أتباعهم بترديد البيتين وهما :

أي فضل لشاعر يطلب الفضـــــ ل مـــن الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع فـــي الكوفة الما ء وحيـــنا يبيع ماء المحيا [5]

---

[1] – ريجيس بلاشير : أبو الطيب المتنبي ، دراسة في التاريخ الأدبي ، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، الجزائر ، ص 40 .

[2] – جورج عبدو معتوق : المتنبي شاعر الشخصية القوية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 2 ، 1981 ، ص 5 .

[3] – خليل شرف الدين ، الموسوعة الأدبية الميسرة (المتنبي) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، د ط ، 1980 ، ص 24.

[4] – نوابغ العرب : أبو الطيب المتنبي ، دار العودة ، بيروت ، ط1 ، 1974 ، ص 21 .

[5] – خليل شرف الدين : الموسوعة الأدبية الميسرة ، المتنبي ، ص 19 .

أما والـــدة المتنبي ، فلم يذكر الرواة عنها شيئا ، ويرجح أنها ماتت قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها وهي التي تفردت من بين أسرته جميعا برثائه لها واحترامه الفخم .

قال إبان اعتقاله [1]:

يبـدي أيها لأميـر الأريب لا لشيء إلا لأنـــي غريب

ولأم لـــهـا إذا ذكـرتنـــي دم قلب في دمع عين يذوب

وما ترعرع المتنبي حتـــى ظهر نبيها ، محبا للعلم ، فكان يكـــثر مجالسة العلماء وملازمة مكاتب الوراقين ، فيقـــرأ ما يقع تحت يـــده مـــن كتبهم . ورأى أبوه استعداداته الطيبة لقبـــول العلم ، فحمله إلـــى بلاد الشام ، باديتها وحاضرتها ، فجالس الكثيرين من علماء زمانه فـــي الأدب واللغة كالخفش وابن دريد وغيرهما .

وكان أول شغفه باللغة فحصل منها الشيء الكثير ، حتى كان يعد من أحفظ علماء عصره لغريبها وحوشيها 2. وكان أيضا كثير الدرس يطوي معظم ليله والكتاب بيده ، ولا يرحل إلا ودفاتره معه لا يستطيع عنها صبرا ، وهـــو القائل : " وخير جليس في الزمان كتاب "3 .

توفي والد المتنبي وهـــو مازال حدثا . ويبدو أن أبا الطيب لم يعرف أمه ، فربته جدته لأمه وهي التي غرست في قلبه حنانا لم يضعفه مرور الأيام ، وكانت أفكار المتنبي تتجـــه ، في ساعات المحن إلـــى جدته التي أقامها مقام أمه ، وكانت جدته معروفة بأنها من صلحاء النساء الكوفيات دأبها فعل الخير4 . فقد أدخلته المكتب العلـــوي بالكوفة حيث أخـــذ قسطا مـــن الشعر والأدب واللغة .

---

[1] – عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي ، ج 1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص 18 .

[2] – جورج عبدو معتوق : المتنبي شاعر الشخصية القوية ، ص 5 ، 6 .

[3] – بطرس البستاني :أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ج 1 ، دار مازون عبود ، د ط ، 1979 ، ص 327.

[4] – ريجيس بلاشير : أبو الطيب المتنبي ، ص 41 .

لكن حياة طلاب المكتب ونمط عيشهم وسلوكهم لم تكن لتروق له قال له أحد رفاقه ما أحسن هذه الوفرة فقال صارخا ولعله أول شعر نطق به :

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الظفرين يوم النزال

على فتى معتقل صعده يعلها من كل وافي السبال [1]

كان المتنبي طموحا وكانت الكوفة يومئذ مسرحا للدعوات تبثها فرق القرامطة والإسماعيلية ، مبشرة بظهور المهدي من أعقاب علي ، يرسله الله ويطهر الأرض ويملأها عدلا بعد ما ملئت جورا وفسادا ، فكان أبو الطيب يتلقى هذه الأفكار منذ صباه فيتمثل المهدي ويتصوره بخياله وينظر إلى هذه الأحوال القلقة ، ويقلبها على وجوهها ، فحدثته نفسه الطموح فثار على الأوضاع البالية عله يحقق مجدا وسيادة ، فدعا البدو إلى إتباعه فتبعوه لجهالتهم وفقرهم ولكن أمير حمص قبض عليه واعتقله زمنا ، واستعطف المتنبي الوالي بقصيدة منها [2]:

دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد

دعوتك لما يراني البلاء وأوهن رجلي ثقل الحديد

وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود

غير أن هذه الشكوى لم تؤثر في الوالي، ما دعا المتنبي ليجرب مرة ثانية فكتب المتنبي :

يبدي أيها الأمير الأريب لا لشيء إلا لأني غريب

ولاء لها إذا ذكرتني دم قلب في دمع عين يذوب

إن أكن قبل أن رأيتك أخطأ ت ، فاني على يديك أتوب [3]

---

[1] – خليل شرف الدين : الموسوعة الأدبية الميسرة --المتنبي ، ص 26 .

[2] – جورج عبدو معتوق : المتنبي شاعر الشخصية القوية ، ص 26 .

[3] – فاطمة محمود الجوابرة : موسوعة روائع الشعر العربي – المتنبي ، ص 18 .

وهكذا عفا الوالي عن المتنبي وخرج من السجن والذي مكث فيه سنتين ، وقد أقلع عن اللجوء إلـــى الثورة المسلحة وادعائـــه النبوة ، ولجـــأ إلـــى السلاح الأقـــوى : الشعـــر مكتفيا به وسيلة أنجع للوصول .. اتصل المتنبي بالأمير العربي بدر بن عمار في طبريا فمدحه ولقي عنده حظـــوة وتقديـــرا ، إلا أن الحساد سعـــوا بينهما ، فاثر المتنبي الارتحال من طبريا إلى الرملة ، وكان عليها محمد بن طنج ، ثم قصد طرابلس فبعلبك ، فأنطاكية [1]، و كان عليـــها العشائر الحمداني نسيب سيف الدولة .فقدم أبو العشائر المتنبي إلى سيف الدولة أثناء زيارته له . فأعجب الأمير الحمداني بالشاعر واصطحبه معـــه إلى حلب وقربه منه .

ويروى ان المتنبي قد اشترط على سيف الدولة ألا يكلفه ما يكلف به الشعراء مـــن تقبيل الأرض بين يدي الأمير ، ومن إنشاده الشعـــر وهو واقف ، وأن يكون هو شاعـــر البلاط الأول : لتكون له الجائزة الأولى ، وان سيف الدولة قبل بكل هذه الشروط .

وجد المتنبي فـــي بلاط سيف الدولة الجـــو الرفيع الـــذي كانت تتـــوق لـــه إليه نفسه ، والرجل الذي حلم به في صباه ، ثم فتش عن في غير سيف الدولة مـــن ممدوحيه وما أكثرهم . فلـــم يجد سوى أشباح له لا أشباه ..حتى التقى بسيد البلاط ، أحس المتنبي بأن عهدا بدأ في حياته ، وأن أيام الفقر والتشرد قد ولت إلى غير رجعة .

أقبل المتنبي على سيد البلاط إقبال من وجـــد نفسه ، وحظي بضالته ، لقد التحق المتنبي بسيف الدولة في الرابعة والثلاثين من عمره ، أي في سنة (337 هـــ)[2].

وقـــد كان المتنبي ينصب نفسه خطيبا في شعره أمام رجـــال الأمير يجدد فيهـــم العزيمة علـــى معاودة القتال وانتزاع النصر من الأعداء ، وهذا فـــي غزو سيف الدولة على الروم أو البـــدو في صحراء الشام .

[1] – خليل شرف الدين : الموسوعة الأدبية الميسرة – المتنبي ، ص 29 .

[2] – نوابغ العرب : أبو الطيب المتنبي ، ص 22 .

وكان يبدع دوما لصدق وفائه للأمير ، فلم يفارقه أبدا . وكان يسجل في قصائده الكثيرة التي اختصه بها كل حوادثه فيتتبع بالذكر حروبه وسفره وقفوله وارتحاله ونزوله ويصف ظفـــره الصاعق وانخذال الروم وفرار ملكهم وقوادهم ، وتشتت جيوشهم واندحارها [1].
لقد ظلت حياة المتنبي طوال تسع سنين مرتبطة صميما بحياة أمير حلب[2].حتى وقع خلاف بينه وبين ابن خالويه – النحوي – خلاف في مجلس من مجالس سيف الدولة . كان حقد ابن خالويه علـــى المتنبي هو دافعه ، ليضرب وجـــه المتنبي بمفتاح كان معه ، فجرحه ، وخرج الشاعر ودمه يسيل فوق وجهه . كان يتوقع أن يغضب سيف الدولة له وينصـــره علـــى هذا المعتدي ، ولكـــنه لم يفعل شيئا ولم يغضب لما حدث ، بل ولـــم يستنكره ولم يظهر أسفه له [3]. ففر المتنبي إلـــى مصر والتقى بحاكمها كافور ، وقد أخذ يزور الأقوال التي توافق هـــواه ، مسرفا بتعظيمه ، متسخـــرا بما لا يؤمن به ، فأذل كبريائه وتبذل ، مـــن أجـــل أن يحقق حلمه الإمارة ، لكنه لـــم يحظ بالولاية ، لأن كافـــورا ، كان يخلف الوعـــد . فعاد بعـــدها إلـــى الكوفـــة ومنها رحل إلى فارس ثم عاد إلى العراق .

أحب المتنبي سيف الدولة ، لأنه عربي ، ولأنـــه مثقف ، ولأنـــه استطاع حماية حـــدود البـــلاد ضد الأجانب .

وقد شرق الشاعر في البلاد وغرب فلم ينل إعجابه أي ملك من هؤلاء الملوك ، وقد مدحهم تقربا وتصنعا وما لبث أن هجاهم وأمعن في تجريحهم وشفى صدره منهم .

[1] – زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1970 ، ص 274 .

[2] – ريجيس بلاشير : أبو الطيب المتنبي ، ص 199 .

[3] – يوسف خليف : في الشعر العباسي ، نحو منهج جديد ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، د ط ، د ت ، ص 124 .

ب- صفاته وأخلاقه :

في كتاب شرح ديوان المتنبي للبرقوقي حدث علي بن حمزة قال : " بلوت من أبي الطيب ثلاث خصال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، و بلوت منه ثلاث خصال مذمومة ، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن" [1].

ومن أبرز صفاته طموحه ، طموح جعله لا يدري من يريد من الأيام ، فتارة يطمح في ولاية يدير أمرها فيكون له عز وجاه وسلطان ، وتارة أخرى يطمح في مجهول لا يستطيع له تحديدا . لذلك شقي المتنبي بطموحه كثيرا . وقد دفعه هذا الطموح أن يلقي مراسيه مطوفا في بلاطات الحكام والأمراء . يقول المتنبي لكافور في لقاء بينهما :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقيين واليا[2]

ويرجح بعض الدارسين أن طموحه كان ثمرة لعصره المثقل بالاضطرابات والدسائس .كما أن الصدق كان من صفات المتنبي ، صدق جعله يترفع عن الكذب إذ لا يليق بأمجاد الرجال ، يقول المتنبي في الصدق :

في الصدق مندوحة عن الكذب والجد أولى بنا من النعيم[3]

كما عرف في المتنبي شجاعته وألفته وعلو همته ، وغيرهما من صفات أصلتها في نشأته في أعماق البادية ، وما صحب ذلك من كثرة رحلاته التي تعرض فيها للكثير من مشقات الطريق ومتاعب السفر[4] . وكان في أخلاق المتنبي ترفع عن حياة أهل عصره ، و ما تمور به من تهافت على اللذات والشهوات ، فأخلاقه

[1] – عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي ، ص 6 .

[2] – ريجيس بلاشير : أبو الطيب المتنبي ، ص 289 .

[3] – المرجع السابق ، ص 295 .

[4] – الموسوعة العربية العالمية : المتنبي .

محمودة وسيرته خاليـــة مـــن الموبقات . ولعل أبـــرز السلبيات التـــي امتاز بها المتنبي في شخصيته هي البخل والحرص على المال .

ولا يذكر أن المال كان بالنســـبة له وسيـــلة لتحقيـــق آماله المفقودة ، فقـــد نشـــأ في أسرة فقيرة وأدرك أن الجاه والسيادة يحتاجان إلـــى سلطان المال ، فالمتنبي لم يكـــن بخيلا ولكنه صاحب فلسفة تنبع من معاناة حقيقية أدرك خلالها قيمة المال وأثره البالغ في الحياة ، ليس المال لديه مطلبا لذاته ولكنه عون لدفع عاديات الحياة :

وما رغبتي فـــي عسجد أستفيده ولكنها فـــــي مفخـــر أستجده [1]

وقـــد جاء في كتاب المتقن فـــي تاريخ الأدب العربي للدكتورة إيمان البقاعي أن المتنبي كان يحرم نفسه الخمر حفظا لعقله [2]، فيقول :

والنفـــــس ما للفتـــــى لبـــه ودو اللـــب يكـــره إنفاقـــــه [3]

وكان لا يكره الخمر لأن الكتاب حرمها ، فتحريم الكتاب عنده دون تحريم ممدوحه إذا أراده على شربها :

وإذا طلبت رضى الأمير يشربها وأخذتها فلقد تركت الأحرما

وكان وفيا مخلصا لأصحابـــه ، ويكـــره الريـــاء والخـــداع أيضا . قال ابن فورجه (400 هـــ/ 1009 م) : " كان المتنبي داهية ، مر اللسان ، شجـــاعا ، حافظا للآداب ، عارفا بأخلاق الملوك ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه إلا بخله وشرهه على المال "[4] .

---

[1] – عبد الله التطاوي : القصيدة العباسية – قضايا واتجاهات ، دار غريب ، القاهرة ، ط 2 ، د ت ، ص 300 .

[2] – إيمان البقاعي ، المتقن في تاريخ الأدب العربي ، دار الراتب ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 253 .

[3] – بطرس البستاني :أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 325 .

[4] – عبد الوهاب عزام : ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1968 ، ص 13 .

وقال أبو البركات بن أبي الفرج المعروف بابن زيد التكريتي الشاعر : " بلغني أنه قيل للمتنبي : قد شاع عنك مـــن البخل فـــي الأفاق ما قد صار سمرا بين الرفاق ، وأنت تمدح فـــي شعرك الكرم وأهله ، وتذم البخل وأهله . ألست أنت القائل[1] :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعـــل الفقر

ومعلوم أن البخـــل قبيح ، ومنك أقبح لأنك تتعاطى كبر الفضل ، وعلـــو الهمة ، وطلب المال ، والبخل ينافي سائـــر ذلك . فقال : أن لبخلي سببا ، وذلك أني أذكـــر وقد وردت في صباي من الكوفة إلى بغـــداد ، فأخـــذت خمسة دراهـــم في جانب منديلـــي ، وخرجت أمشي فـــي أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، فـــرأيت عنده خمسا من البطيخ باكورة . فاستحسنتها ونويت أن أشتـــريـــها بالدراهـــم التـــي معـــي ، فتقـــدمت إليه وقلت : بكـــم تبيع هـــذه الخمسة البطاطيخ ؟ فقال بغير اكتراث : اذهب ، فليس هذا مـــن أكلك ، فتماسكت معه وقلـــت : أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمـــن . فقال ثمنـــها عشرة دراهـــم . فلشدة ما جبهني به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة . فوقفت حائرا ، ودفعت له خمسة دراهم ، فلم يقبل .وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ، ذاهبا إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ، ودعا له وقال: يا مولاي ، هـــذا بطيخ باكور ، لأجازتك أحمله إلـــى منزلك ، فقال الشيخ ، ويحـــك بكـــم هـــذا ؟ قال بخمسة دراهم . فقال : بل بدرهمين . فـــباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ، ودعا له ، وعاد إلى دكانه مسرورا بما فعل . فقلت له : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ، استمت علي في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتـــك التـــي فعلت ، وكنت قـــد أعطيتك فـــي ثمه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولا . فقال : اسكت . هذا يملك مائة ألف ألف دينار. فعلمت أن الناس لا يكرمون أحدا إكرامهم لمن يعتقدون أنه يملك مائة ألـــف دينار.

[1] – محمد زغلول سلام : الأدب في عصر العباسيين ، ج 2 ، ص 87 .

وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألـــف دينار " [1].

وقال صاحب الإيضاح : " وكان المتنبي مر النفس ، صعب الشكيمة حادا مجدا " .

أما أبو الفتح بن جني فقد قال عن المتنبي : " ولقد كان من الجد فيما يعانيه ، ولزوم أهل العلم فيما يقوله ويحكيه ، على أسد وتيرة ، وأحسن سيرة .... وحقا أقول لقد شاهدته على خلق قلما تكامل إلا لعالم موفق "[2] .

[1] – محمد زغلول سلام : الأدب في عصر العباسيين ، ج 2 ، ص 87 ، 88 .

[2] – عبد الوهاب عزام : ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1968 ، ص 13 .

جـــ- مكانته الشعرية :

كان أبو الطيب المتنبي نادرة زمانه ، وأعجوبة عصـــره وظل شعره إلى اليوم مصدر الهام ووحي للشعراء والأدباء ، يجدون فيه القـــوة والتدفق ، والشاعرية المرتكزة على الحس والتجربة الصادقة ، فشعـــر المتنبي يمثل عصـــره أحسن تمثيل فهـــو سجل تاريخي حافل وصادق في عصره ، كما أن شعره صورة لحياته المضطربة ، وفيه يتجلى شعـــوره وشهرته وعلمه ومجده وشجاعته .

جاءت قصائد المتنبي محكمة البناء وأخذت نمطين : أما التقديم للموضوع بالغـــزل الذي ســـار عليه الشعراء القدامى ، وإما الشروع فـــي موضوعه مباشرة ، ويختلف شعره في الكهولة عن شعره في الحداثة وأجود شعره ما قاله في مدح سيف الدولة .

وقد خلف أبو الطيب من الشعر أكثر من خمسة آلاف وأربع مئة بيت[1] . وقد عني الشراح بتفسير ديوانه لكثرة الراغبين فيه .

[1] – ماهر الكيالي : المتنبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1985 ، ص 5 .

2- أغراضه الشعرية :

أ- المدح :

أكثر المتنبي في المدح ، وأشهر من مدحهم سيف الدولة الحمداني وكافور الإخشيدي ، ومن أحسن ما قاله المتنبي في المديح ما قاله سيف الدولة ، الذي يرى بأنه المثل الأعلى له فقال [1]:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائـــم

تمر بـــك الأبطال كلمى هزيمـــة ووجهك وضاح وثغـــرك باســـم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالـــم

ب- الوصف :

لقد أجاد المتنبي في وصف المعارك والحروب البارزة التي دارت فـــي عصره فصور نفسه وطموحه أروع تصوير وقال يصف شعب بوان ، وهو منتزه بالقرب مـــن شيراز [2] :

لها ثمـــر تشير إليـــك منـــه بـــأشـــربة وقـــفـــن بلا أوان

وأمـــواه تصل بها حصـــاها صليل الحلي في أيدي الغواني

ج- الفخر :

كان فخره نتيجة طبيعة بزهوه وتعاظمه وشعـــوره بامتيازه ، قال المتنبي وهـــو يفخـــر بشعره وهو يعلم قدره [3]:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

[1] – فاطمة محمود الجوابرة : موسوعة روائع الشعر العربي – المتنبي ، ص 132 ، 133 .

[2] – ناصيف اليازجي ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ص 453 .

[3] – منير سلطان : الصورة الفنية في شعر المتنبي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، د ط ،2002، ص 219 .

د- الهجاء :

لم يكثر المتنبي مـــن الهجاء لأنه لا يتلاءم مع نفسه المترفعة ، لكنه كان قاسيا فـــي هجاءه ، فقال يهجو كافور[1] :

من أية الطرق يأتي مثلك الكره أين المحاجم يا كافور والحلم

جاز الالى ملكت كفاك قدرهـــم فعرفوا بك أن الكلب فوقهـــم

لا شيء أقبح من فحل له ذكـــر تقـــوده أمة ليست لها رحـــم

هـــ- الرثاء :

كانت قصائده العاطفية في الرثاء قوية مؤثرة تهـــز الشعور . وقال يرثـــي جدته [2]:

أحن إلى الكاس التـــي شربت بها وأهوى لمثواها التراب وما ضما

بكيت عليـــها خيـــفة فـــي حياتها وذاق كلانا ثكـــل صاحبه قـــدما

ولـــو قتل الهجـــر المحبين كلهم مضى بلد باق أجـــدت له صرما

منافعها ما ضر فـــي نفع غيرها تغذى وتروى أن تجوع وأن تظمأ

[1] – مصطفى أمين الرفاعي : المتنبي وشوقي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، د ط ، 2002 ، ص 142 .

[2] – فاطمة محمود الجوابرة : موسوعة روائع الشعر العربي – المتنبي ، ص 61 ، 62 .

و- الحكمة :

اشتهر المتنبي بالحكمة ، فقلما نجد شاعرا له هذا القدر من الحكم والأمثال المتداولة ، ومن حكمه ونظراته في الحياة [1]:

ومراد النفوس أصغر مـــن أن تتعـــادى فيـــه وان تتفانـــى

غـــير أن الفتـــى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهـــــوانا

ولـــو أن الحياة تبقـــى لحـــي لعـــددنا أضـــلنا الشجعـــانا

وإذا لـــم يكـــن من الموت بد فمن العجز أن تكون جـــبانا

[1] – ديوان المتنبي : شرح أبي البقاء العكبري ، ج 4 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط 2 ، 1956 ، ص 241 .

3- مقتـــــله :

لقد خرج المتنبي مـــن بلاط عضد الدولة بشيراز التـــي أقام بها زهاء ثلاثـــة أشهر[1] ، وكان قد أعـــد قصيدة الوداع التـــي يشكـــــر فيـــــها الأمير ، ويظهـــر رغبته فـــي الرجوع إليه ، ويعتذر له بان أهـــله في شوق إليه وحـــزن لغيابه . ومـــن العجـــب أن تتضمن هـــذه الإحساس المتنبي بما تهيئ له الأقدار من شر في طريقه إلى بغداد فيقول[2] :

وأنى شئت ، يا طرقي فكوني أداة أو نجـــاة ، أو هـــلاكا

فلو ســـرنا وفي تشرين خمس رأوني قبل أن يروا السماكا

وكان ذلك فـــي أول شعبان سنة (964 م) وهـــي آخـــر شعـــر قـــاله المتنبـــي . فقـــد خـــرج مـــن شيراز وهو مثقل بالهدايا والأحمال الثمينة من ذهب وفضة وكتب وأدوات كثيرة ، حتى بلـــغ "الأهواز" ثم قصد مدينة " واسط " ثم انطلق حتـــى بلـــغ " جبل " ونزل عند صديقه أبي نصر الجبلـــي . بعـــد أن قطع سبعة عشـــــر فرســـخا 3، وكان عليـــه أن يقطـــع ثلاثـــــة وعشـــرين فرســـخا ، لكـــي يبلـــغ بغـــداد 4. وفـــي منتصف طريقـــــه خـــــرج عليـــه فاتك بـــن أبـــي جـــهـــل بـــن فراس بن شـــداد الأســـدي ومـــعه ثلاثون فارسا . وقـــد رسمـــوا خطة لقتل الشاعـــــر ، ولم يكـــن دافـــع العصابة أنه هجا ضبة ابن أخته ، إلا أن الدافع الحقيقي هـــــو الاستيلاء على ما كان في حوزة المتنبي من ذهب وهدايا عضد الدولة . ودارت معركة دموية بين الشاعر

[1] – ناصيف اليازجي : العرف الطيب في ديوان أبي الطيب ، ص 497 .

[2] – عبد الوهاب عزام : ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، ص 179 .

[3] – نوابغ العرب : أبو الطيب المتنبي ، ص 57 .

[4] – منير سلطان : الصورة الفنية في شعر المتنبي ، (التشبيه) ، ص 96 .

واللصوص ، حتى أصاب المتنبي سهم قاتل في صدره ، فسقط عن فرسه مرجا بالدماء ، وهو يقول 1:

(خذوا كل شيء . واحفظوا ديواني الذي هو كل ما تبقى لي من الحياة) .

لقـــد كان مقتـــل المتنبي سنة أربـــع وخمسين وثلاثمائة (354 هـــ – 965 م) هـــو وابنـــه محسد وغلامه مفلح .

[1] – بطرس البستاني :أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ،ج 1 ، دار مارون عبود ، 1979 ، د ط ، ص 324 .

ثانيا/ سيرة اليازجي :

أ – نشأته وحياته :

هو ناصيف بن عبد الله بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبناني المولد الحمصي الأصلي. ولد في قرية كفر شيما من قرى الساحل اللبناني في 25 آذار سنة (1800 م– 1214 هـ) [1].

كان ناصيف نصراني من طائفة الروم الملكيين ، وترعرع في بيت ركن له العلم إليه ، فألفه صغيرا .وتوسم فيه والده ميخايل النجابة ، فتعهده بعنايته ولقنه أوليات اللغة وفنونها وحبب إليه آدابها 2. نشأ ناصيف ميالاً إلى الأدب والشعر ، وأقبل على الدرس والمطالعة بنفسه ، وتصفّح ما تصل إليه يده من كتب النحو واللغة ودواوين الشعراء ، ونظم الشعر وهو في العاشرة من عمره ، ولم تكن الكتب المطبوعة ميسّرة في عصره فكان جل اعتماده على كتب يستعيرها من المكتبات الخاصة ، فمنها ما يقرأها مرة فيحفظ زبدتها ومنها ما ينسخها بخط يده.

بعد اكتمال شخصيته الثقافية اتصل بالأمير بشير الشهابي الكبير ، أمير لبنان ، فقرّبه إليه وجعله كاتباً له ، فلبث في خدمته اثنتي عشرة سنة ، ولما كانت سنة 1840 م وهي السنة التي خرج فيها الأمير بشير من لبنان إلى منفاه انتقل ناصيف اليازجي بأهل بيته إلى بيروت فأقام بها وتفرغ للمطالعة والتأليف والتدريس ونظم الشعر ومراسلة الأدباء فذاع صيته وأشتهر ذكره .

[1] – بطرس البستاني : أدباء العرب في الأندلس والانبعاث ، دار الجيل ، لبنان ، بيروت ، 1997 ، ص 87 .

[2] – فؤاد أفرام البستاني : الروائع (الشيخ ناصيف اليازجي) ، دار المشرق ، بيروت ، ط 3 ، 1998 ، ص 114 .

ب – صفاته وأخلاقه :

كان معتدل القامة ، فوق الربعة ، ممتلئ الأعضاء أسمر اللون حنطيـــة ، أشـــهل العينين . مهيبا ، وقورا ، شهما كاملا متواضعا متأنيا في حديثه ، قليل الضحك ن عفيف اللسان ، كان سريع الفهم ، قوي الذاكرة ، حسن التدين ، أما محضرة فكان جليلا أنيســـا لكثرة رواياته ونكاته . إذا حدث أخذ بمجامع القلوب مع البساطة وتجنب الألفاظ اللغويـــة حتى أن من يسمعه قد لا يظن أنه على شيء من العلم ، وكان ثابت الفكر لا يتـــردد فـــي أمر باشره لأنه لم يكن يباشر أمرا إلا بعد التروي فيه . ولم يهج أحد ولا هجـــاه أحـــد ، وكان أذا ذكر أمامه أحد سوء أطرق وأغضى كأنه لم يسمع ، فلم يسمع له في قصائده أو رسائله أنه هجا أحدا[1] .

ويتحدث عنه معاصروه أنه كان واسع الاطلاع ، كثير النكات والنـــوادر ، يـــروى القصة بتواريخها وأسماء أصحابها وأمكنتهم .

وكان محافظا أشد المحافظة على لهجة قومه ، مقلدا لأجداده في جميع عاداتهم من الأكل ، والشرب واللبس ، وسائر المظاهر الخارجية . فكان يبدو أمام تلاميذه لابســـا عمامـــة كبيرة سوداء ، وجبة طويلة ، وصرماية حمراء ، والقفطان على بدنه ذلك على قلة مـــن كانوا يظهرون بهذا الزي القديم ، إلا أنه لم يطلق لحيته قط بل كان يحلقها حتـــى آخـــر حياته [2].

ومن صفاته التي ازدان بها وتنوقلت عنه ، أنه لم يكن بيت حكما لـــم يتحققـــه ولا يؤكد خبر مما لم يتمحصه ولا يثبت رواية لم يعد النظر عليها ، وكان دأبه فـــي حديثـــه وكتاباته وذلك لحصافة في عقله وشهامة في خلقه ، معترفا أن الإنسان موضـــع النســـيان والعصمة إلا لله وحده . ومن أقواله في ذلك :

[1] – شفيق البقاعي : أدب عصر النهضة ، دار العلم للملايين ، 1990م ، ص 65 .

[2] – رنيف خوري : الفنون الأدبية وأعلامها في عصر النهضة العربية الحديثة ، ص 58 .

لا تعط حكمك ما بدا لك أمره حتى تقوم على حقيقة أمــره

فمن البيت يتبن جودة أخلاقه ولين عريكته وتواضعه ، وقد نقل عنه كان قليل الكلام ، ولا سيما بما لا يعنيه [1].

2- تاريخ الأسرة اليازجية :

كانت الأسر الملكية فــي التاريخ تبنــي عروشها وممالكها علــى الحروب والقتال ونصال السيوف ولا تدوم ، ولا يبقى منها إلا آثار أطلال التــي تبكــي التاريخ المندثــر لأصحابها ، فان الأسر الأدبية تبني مجدا لا يفنى ولا يندثر . ومن هذه الأسر العربية في القرن التاسع عشر الأسرة اليازجية . كانت هــذه الأسرة تقطن قــرى حــوران جنــوب سوريا (درعا) ، فهاجــر أفراد منها إلــى مدينة حمص وراحوا يكتبون للــولاة والحكام فأطلق عليهم اسم الكاتب ، دعي بها أحد جدود الشيخ ناصيف .

هاجر جــده سعد المذكور من حمص مع جماعــة مــن ذويــه نحــو سنة 1690 م لحيف لحقهــم فــي تلك الديار فتــوطــن أناس منهــم فــي ساحــل لبنان فــي الجهة المعروفة بالغرب ، وآخــرون في وادي التيــم وتفــرق بعضهم في مواطــن أخــرى ، وبقــية أســرتهم فــي حمص ونواحيها وهم عشيرة من ذوي الوجاهة واليسار ، فأصبح جده كاتبا للأمير أحمد آخر حاكم لبنان من المعلنــين ونال حظوة عنده فلقبه " بالشيخ " ، لوجهاته وعلمه ، وكــان عبــد الله اليازجي والد ناصيف كاتبا للأمير حيدر[2] .

[1] –عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، دار الفكر للطباعة ، ط 8 ، 2009 م ، ص 145 .

[2] – أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، ط 12 ، 2009 م ، ص 222 .

أ- ناصيف والملوك :

تألق نجم الشيخ ناصيف وهو في السادسة عشر من عمره ، وقد عرف عنه من تيقظ الخاطر والعلم والجمال الخط . وعني بالخط عناية خاصة فجوده وبرع به فاتصل خبره إلى البطريك الكاثوليك أغناطيوس قطان الخامس في دير القرقفه قرب كفرشيما مسقط رأس اليازجي فدعاه ليكتب الواقع على هضبة من هضبات كفر شيما فبقي عنده مدة سنتين [1]. ثم انتقل البطريك له في دير أهالى الزورق في كسروان فعاد ناصيف بعياله إلى بيروت ، يعكف على المطالعة والحفظ ويطلع على أسرار الموسيقى ، ويتلقن الطلب الاختباري عن أبيه وينظم الشعر [2].

وتدامت شهرته في أنحاء لبنان فاستدناه الأمير بشير الشهابي الكبير المعروف بالكبير أو الماطي ، هو أعظم أمراء بني شهاب حكام جبل لبنان في الأجيال الأخيرة وهم عرب يتصل نسبهم إلى قريش قدموا بلاد الشام في صدر الإسلام ومازالوا يتناوبون الأحكام في لبنان ووادي التيم مع الأسر الأخرى من الأمراء إلى أواسط القرن التاسع عشر[3] ، وللأمير الشهابي الكبير بشير تأثير حسن في الحركة الأدبية فانه قرب الأدباء والشعراء وأجازهم ،

فالأمير قرب الشيخ إليه وجعله كاتب يده ،وكاتم سره ومع أنه لبث في خدمته نحوا من اثنتي عشرة سنة أي الى سنة 1840 م [4]، وهي السنة التي خرج فيها الأمير بشير من البلاد الشام منفيا ، وهذا شاعره وكاتب ديوانه ناصيف اليازجي يرفع عقيرته ضاما صوته إلى صوت الشاعر الكبير وغيره ، فتتألف من هؤلاء جوقة لم يشهد مثلها بلاط من بلاطات ملوك ذلك ،أما أيام الأمير فكانت شغل شعرائه الشاغل ، وسعادته يسمع ما يقال

[1] – جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، ط 3 ، مصر ، 1922 ، ص 133 .

[2] – جرجي زيدان : نفس المرجع ، ص 134 .

[3] – سابا ، ميخائيل عيسى : نوابغ الفكر العربي (الشيخ ناصيف اليازجي) ، دار المعارف ، بيروت ، 1985 ، ص 220 .

[4] – شكيب محمود أنصاري : تطور الأدب العربي المعاصر ، انتشارات داتشكاه شمران ، ط 3 ، 1382 هـ ، ص 136 .

مغتبطا يهب بما نهب.وأميرهم جواد لا يبخل عليهم بما يسند قلبهم فلا يبقون على الريق[1].

ومدح الشيخ في الأمير ما كان إلا قليلا وربما كان ذلك احتراما وكرامة للأمير.
وحين انتصر الأمير بشير على مقاوميه في الحروب التي وقعت ، مدحه في قصيدة نابضة ومطلعها :

يهنيك يهنيك هذا النصر والظفر فانعم إذن أنت ، بل فلتنعم البشر

ولعلها من خير القصائد التي مدح بها الأمير بشير وهو مازال شابا غض الاهاب . ونلمح بها تقليدا للمتنبي وقد كان يحبه حبا شديدا [2].

وبعد نفي الأمير من البلاد لم ينسى ناصيف أميره المالطي فأرسل إليه قصيدة مدحية أصدق وصف [3].

للحال بعد نفي الأمير طال شوقي لطول هذا البعاد

فناري هل لذلك من ميعاد كلما اقبل الرجاء ثناه

الدهر عنا ، فكلنا في الطراد خمدت نار ذلك الحي ، ويلاه

[1] – مارون عبود : مؤلفات مارون عبود ، المجموعة الكاملة في الدراسة ، دار عبود مارون ، بيروت ، ط 3 ، 1983 م ، ص 86 .

[2] – حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، انتشارات توس ، طهران ، ط 2 ، 1383 هـ ، ص 135 .

[3] –لجنة من أدباء الأقطار العربية : الفن القصصي ، المقامة ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، 1954 م ، ص 87 .

ب-حياة الدرس والتأليف في بيروت :

وقعت الحرب الأولى بين الـــدروز والنصارى سنة 1841 م ، فكان الشيخ ناصيف فـــي جملة المهاجرين إلى مدينة بيروت . فراقت فق الأمير فأكسبه رضاه وعطفه وحفظ له ذكرا طيبا ، حتى إذا مرت أربع سنوات ، استدعاه إلى بيت الدين ، وكان ذلك سنة 1828 م [1].

هناك تألـــــق نجمه وطال صيته فـــي العالم العربي ، فأقبل علـــى مراسلته وإطـــراء أدبـــه رجال العلم والأدب من شتى الأقطار العربية حتى لهج بذكره القطران الشامي والمصري . وللأمير الشهابي بشير الكبير كان تأثيـــر حســـن على الحـــركة الأدبيـــة ، لأنـــه قـــرب الشعراء والكتاب ، وأجازهم .

وكانت تقصده ركائب الزائريـــن مـــن كل صقع وفيهم العلماء والوزراء وفـــي جملة مـــن زاره منـــهـــم : محمد عـــزت باشـــا أحـــد قـــواد الجـــنـــود السلطانية فـــمدحـــه بأبيات ارتحالية يقـــــول فـــي مطلعها [2]:

أعطي محمد عزة من فضله شـــــــرفا لساحتنا بوطأة نعله

فكان بيته مباءة العلماء ، ومرجع الفتاوي الأدبية وعكاظ المحاضرات العلمية والمطارحات اللغـــوية فهـــبـــط الشيخ ناصيف إلـــى بيـــــروت يعلـــم فـــي الكلية الإنجيلـــية الســـورية هـــي اليـــــــوم " الجامعة الأمريكية " ، والكلية البطريركية والمدرسة الوطنية التـــي أنشاها العلامة بطـــرس البستاني الكبير سنة 1863 م [3].

[1] – مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، ط 2 ، 1984 ، ص 66 .

[2] – أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 8 ، 1989، ص45.

[3] – نفس المرجع ، ص 46 .

وكان العضو العامل القوي الذي أبدا الدكتور عالي سمث في إنشاء الجمعية السورية وحينما دعي الشيخ إلى المدرسة الوطنية ، علم فيها أرجوزته في النحو واشتغل فـــي تصحيح معجـــم البستانـــي " محيط المحيط " ، ولكـــن تصحيحه لـــم ينل إلا الجزء

الأول ، وصحح الكتب في مطبعة الأميركان وعمل على تنقيح ترجمتهم للكتاب المقدس. ومن تلاميذه، الدكتور صروف منشيء " المقتطف"، سليم تقلا " الأهرام "، وسليم البستاني محرر " الجنان ". وعبد الله البستاني صاحب " البستان" ، وخليل الخوري صاحب " حديقة الأخبار " ، وخليل غانم ، وأسعد طراد ، وسواهم من فحول الكتاب وأعلام الأدب .

وكان لانقضاء عهـــد الأمير ، كما كان لوجـــوده ، فضل على الأدب العربي في لبنان ، إذ استراح الشيـــخ ناصيف من مشاكل الديوان ومشاغله ، فانصرف إلى التأليف طابعا على غـــرار القـــدماء .

3- مرضه ووفاته :

ولم يزل الشيخ ناصيف محور تلك الحركة الفكرية حتى ليلة الثلاثاء 16 آذار 1869 م ، فشعر بدوار وثقل شديد في الرأس مع ضعف في البصر والذاكرة وألم مبهم في الحواس ، عقبته سكتة نزيفية انتهت بعد 36 ساعة بفالج نصفي عطل الشطر الأيسر من الجسم .فجزع طلابه ومريدوه ، وخافوا على ذلك الجذوة أن تخمد . علـــى أن الآمل لم يلبث أن عـــد قليلا إذ أفاق الشيخ بعد أيام ، وفـــي عينيه أسانر سلامة العقل ن ولكنه لـــم يكـــن قادرا علـــى الكـــلام[1] ، ولم يمض القليل على ذلك حتى انحلت عقدة لسانه وأمكنه الإفصاح عـــن مراده ، فأقبل يملي بعض الأبيات التي كان ينظمها وهو في تلك الحالة . وظل على ذلك النحو سنتين .

وكمنه ما برح ينظم الشعر ويتلقى السائلين والمستفيدين إلـــى أن فاجأه القـــدر المصاب الأليـــم بوفاة ولده البكر الشيخ حبيب ، وهو في ريعان الشباب في 31 كانون الأول 1870 م .وكان أبـــوه يعلق عليه الآمـــال الكبيرة لطيب أخـــلاقه ، وســـرعة فهـــمه ، وما حـــوي فـــي صدره مـــن المعارف الكثيرة .فضاع ذلك الأمل ، فحزن الشيخ حتى لم يمكنه الصبر بعد ن بل كان دائـــم الحزن ن دائـــم البكاء ، فـــوقـــع ذلك الحـــادث عليه وقـــــوع الصـــاعقة ، ولـــم يعـــش بعـــد ذلك إلا أربعين يوما .

وفي شباط 1871 م حدث له سكتة دماغية قوى على احتمال تأثيرها ألربعة أيام ، أفاق بعدها منتعشا قليلا . ولكنها راجعته مساء الثامن من شباط المذكور ، فأطفأت ذلك المصباح المنير[2] .

[1] – احمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، ط 12 ، 2009 م ، ص 121 .

[2] – احمد حسن الزيات : نفس المرجع ، ص 123 .

4- أدبـــــــه :

عاش اليازجي في عصر كانت اللغة العربية وأدبها فيه قد بلغا حضيض الانحطاط . ولم يكد يبلغ أشده حتى أخـــذت بعـــض أشعة الحضارة الجـــديدة تنفـــذ إلـــى المشـــرق العربـــي واليازجي كان من أحد رواد النهضة الأدبية الحديثة الذي كان له يد طولي في إقالة اللغة من عثارها وإعـــادة القـــوة والنشاط إليها [1].

ويجب علينا أن نشير بان اليازجـــي كان من احد وأبرز الشعراء الذين انتموا إلـــى الكلاسيكية وهو نمط أدبي قديم يعتبر ذا أهمية رغم حدوثه قبل العصر الحاضر ، والأدباء كانوا يدعون إلـــى تقليد الأدب القديـــم لأنه ليس فـــي إمكان المحدثين إبـــداع ما وضعه المتقدمون. أما المحدثون فرأوا من ناحية أن الأفكار القديمة وثنية ومنافية لفكرة الوحدانية وأن الأدب الكلاسيكي اعتبر العـــقل أســـاسا لفلســـفة الجمال في الأدب لأنه بالـــذات ما هو إلا انعكاس للحقيقة[2].

فبـــرع الشيـــخ ناصيف فـــي العلـــوم اللغـــوية ، من صرف ونحو ومعان وبيان وبديـــع وعـــروض وقافية . واللـــغة وأتقـــن المنطق ، وتم له اطلاع واســـع على الطب والفقه والموسيقى[3].

[1] – حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، انتشارات توس ، طهران ، ط 2 ، 1383 هـــ ، ص 137 .

[2] – احمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، ط 12 ، 2009 م ، ص 124 .

[3] – حنا الفاخوري : المرجع السابق ، ص 139 .

5- مؤلفاتـــــه :

ترك ناصيف اليازجي مؤلفات متعددة شملت الصـــرف والنحـــو والبيـــان واللغـــة والمنطق والطب والتاريخ ، كما ترك ديواناً شعرياً متنوع الموضـــوعات ، ومراســـلات شعرية ونثرية ، وأهم هذه المؤلفات:

* « نار القرى في شرح جوف الفرا » ، في الصرف والنحو.

* « فصل الخطاب في أصول لغة الأعراب » ، وهي رســـالة فـــي التوجيهـــات النحوية.

* « عقد الجمان في علم البيان ».

* « مجمع البحرين » ، وهو يشتمل على ستين مقامة على غرار مقامات الحريري وبديع الزمان الهمداني.

* « ديوان ناصيف اليازجي »

الفصل الثالث

نماذج من العرف الطيب:

جاء في كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لناصيف اليازجي وقال يمدح سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان العدوي عند منصرفه من الظفر بحصن برزويه وعودته إلى أنطاكية وقــد جلس فــي فازة من الديباج عليها صورة ملك الــروم وصور وحش وحيوان وكان ذلك في شهر جمادي الأولى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.[1]

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه[2]

---

[1] - كان سيف الدولة ملكا على حلب انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي سنة 333 هـ وكان أديبا شاعرا مجيدا محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز له قيل لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء وله معهم أخبار كثيرة ولا سيما مع المتنبي والسري الرفاء والنامي والببغاء والوأواء . ومن شعره قوله في جارية كانت له من بنات ملوك الروم وكان شديد المحبة لها حتى خاف من بقية الجواري عليها أن يقتلنها حسدا فنقلها الى مكان اخر احتياطا وأنشد .

راقبتني العيون فيك فأشفقت ولم أخل قط من اشفاق
ورأيت العدو يحسدني فيك مجدا بأنفس الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيدا والذي بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراق

وكانت ولادته سنة 303 هـ وهي سنة ولادة المتنبي ووفاته سنة 356 هـ بعد مقتل المتنبي بسنتين . ولم يكن في الملوك أغزى منه حتى أنه كان قد جمع من نفض الغبار أي يجتمع عيه في غزواته شيئا وعمله لبنة بقدر الكف وأوصى ان يوضع خده عليها في لحده فأنفذوا وصيته وكانت وفاته في حلب فنقل إلى ميتافارقين ودفن في تربة أمه وهي في داخل البلد هناك .(انتهى ملخصا عن وفيات الأعيان) .

وكان سبب اتصال المتنبي بسيف الدولة أن سيف الدولة قدم أنطاكية في هذه السنة وأبو العشائر بها فقدم المتنبي إليه وأثنى عنده عليه وعرفه منزلته من الشعر والدب . واشترط المتنبي على سيف الدولة تحت اشتراطه وانقطع المتنبي إليه لا يمدح إلا سواه وكان جملة ما قاله فيه يعادل ثلث شعره وهو عيون قصائده ولبا مدائحه .

[2] - وفاؤكما : مبتدأ خبره كالربع . وأشجاه : تفضيل من شجاه الأمر اذا أحزنه . وطاسمه : دارسه والجمله حال من الربع .وتسعدا : بمعنى تساعدا والباء متعلقة بوفاء وهو من الضرورات القبيحة لأن الاسم لا يخبر عنه الا بعد تمامه . وساجمه : ساكبه . يخاطب صاحبيه اللذين عاهداه على مساعدته بالبكاء عند ربع الأحية يقول وفاؤكما بمساعدتي كهذا الربع فان الربع كلما درس كان ادعى الى الحزن وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقلت مساعدتكما لي بالبكاء اشتد حزني لفقد من أتأسى به . وقوله والدمع أشفاه ساجمه بيان لعذره ففي البكاء حجة على صاحبيه بانهما خاليان عما هو فيه من الحزن لأنهما لو كانا محزونين لاستشفيا بالدمع كما هو شأن الحزين .

وما أنا إلا عاشق كل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه[1]

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه[2]

بليت بلي الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه[3]

كثيبا توفاني العواذل في الهوى كما يتوقى ريض الخيل حازمه[4]

قفي تغرم الأولى من اللحظ مهجتي بثانية والمتلف الشيء غارمه[5]

سقاك وحيانا بك الله إنما على العيس نور والخدور كمائمه[6]

وما حاجة الأظغان حولك في الدجى إلى قمر ما واجد لك عادمه[7]

إذا ظفرت منك العيون بنظرة أثاب بها معيي المطي ورازمه[8]

---

[1] - كل عاشق : مبتدأ والجملة استئناف . وأعق : ضد أبر . يقول ما أنا إلا عاشق فلا يكون شأني إلا شأن جميع العشاق . ثم ذكر ذلك الشأن في الشطر الثاني أي أن كل عاشق كان له خليلان فعاملاه بالعقوق فالذي يلومه منهما على الجزع والبكاء فهو أشدهما عقوقا .

[2] - تزيا بالشيء : اتخذه زيا وهو اللباس والهيئة . واستصحبه : دعاه إلى صحبته . يعرض بصاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وان تظاهرا به وادعياه ولا ممن تلائمه صحبتهما لأنهما غير موافقين له في أحواله .

[3] - بليت : دعاء . والأطلال : أثار الديار . يدعو على نفسه بالبلى إن لم يقف بإطلالهم حائرا منحنيا كما يصنع البخيل إذا وقف يلتمس خاتمه في التراب .

[4] - الكثيب : الحزين وهو حال من ضمير أقف في البيت السابق . وفي الهوى صلة العواذل .والريض : الصعب في أول ترويضه . أي اللواتي يعذلنني في الهوى يتجنبني ويحذرن جانبي كما يحذر الريض من الخيل من يشد له الحزام .

[5] - غرم ما أتلفه لزمه أداؤه وتغرم جواب قفي وفاعله الأولى . ومن اللحظ بيان للأولى . ومهجتي : مفعول تغرم . يريد أنه نظر اليها نظرة أتلفت مهجته فيقول لها قفي لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحييها فان فعلت كانت النظرة الثانية غرما لما اتلفته النظرة الأولى .

[6] - العيس : الابل . والنور: بالفتح الزهر . والكمائم : جمع كمامة وهي غلاف الزهر . لما جعل هؤلاء النسوة زهرا وجعل الخدور كمائم لهن دعا لهن بالسقيا وجعلهن مما يحيا به على عادة الناس أن يحيى بعضهم بعضا بالأزهار والرياحين.

[7] - الأظعان : النساء في الهوادج . وقوله ما واجد لك عادمه استئناف والضمير للقمر . يقول : ما حاجة هؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل فان من وجدك لم يعدم القمر لأنك قمر مثله .

[8] - أثاب : عاد إليه جسمه بعد الهزال . والمعيي : الكليل . والمطي : جمع المطية للركوبة وذكر الضمير الراجع إليه على اللفظ . والرازم : الذي سقط من الأعياء فلم يبرح . يقول أن رؤيتك تحيي الناظرين حتى لو نظرت إليك الإبل الرازحة لعاشت أرواحها وعادت إليها قوتها ونشاطها .

1- تطبيقات على الأفعال الانجازية :

أ- **فعل القول :** قال يمدح سيف الدولة أبا الحسن عل بن عبد الله بن حمدان العدوي عند منصرفه من الظفر بحصن برزويه وعودته إلى أنطاكية .

ب- الفعل القضوي :

1- الفعل الاحالي :

- **المتكلم :** فعل القول هنا ظاهر وهـــو ما يدل على متكلم بعينه يحيلنا على المتكلم بعينه وهو المتنبي .
- **المخاطب :** هنا ما يدل على مخاطب معين بذاته ، فهو المعني بالخطاب دون سواه ، والمخاطب هنا هو سيف الدولة .

وفاؤكما كالربع : جملة اسمية ، وفاؤكما مبتدأ خبره كالربع وأشجاه تفضيل من شجاه الأمر إذا أحزنه . وطاسمه : حال .

فالعبارة التي يدور حولها الحديث جملة اسمية تتكون مـــن المبتدأ والخبر .

- **الجملة أو العبارة :** الجملة الفعلية "قال يمدح سيف الدولة " .
- **القصد :** وهو ملازم للفعل الكلامي : " وقد يتردد الإنسان فـــي إطلاق صفة الفعل على الشيء إذ لم يكـــن نتيجة لقصد الفاعل ، وعليه فلا يسمـــى الفعل فعلا ما لم يصحبه القصد "[1] .

ومعنى ذلك أن التلفظ من غير قصد يصحبه لا يعدو أن يكـــون مجرد صوت لا قيمة له : " إذ قد ينطق المرسل أصواتا عربية مـــن مفردات لغـــوية ذات معان

[1] - عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط 1 ، 2004 ، ص 188 .

معجمية و بنى صرفية ومنتظمة في تركيب نحوي صحيح ، وبالرغم من أنها ذات دلالة في ذاتها إلا أنها لا تنجز فعلا دون قصد المرسل فضلا عن أن تحدد قوته "[1] .

فاليازجي قبل أن يبدأ في شرح هذه الأبيات في مدح سيف الدولة ، أعطانا لمحة عن المخاطب وسيرته ، قصد أن يعرف المتلقي بالممدوح ، ثم أعطى لمحة أيضا عن الشاعر قصد إفادة القارئ.

فالقول هنا بحتمية وجود متلق : ".....ومقتضاه أنه لا كلام إلا مع وجو القصد "[2] .

- **فعل الاسناد :** الجملة الفعلية التي جاءت مقول القول .

ج – فعل الانجاز(الفعل المتضمن في القول) :

وهو فعل التقرير ، تقرير حقيقة مفادها أن الوفاء من الضرورات القبيحة لأن الاسم لا يعبر عنه إلا بعد تمامه . فالكاتب يقرر حقيقة اجتماعية يراها ويحسها وهي مساعدة صاحبيه اللذين عاهداه بالبكاء عند ربع الأحبة .

د- فعل التأثير : وهو حمل المتلقي على الاقتناع بما يقره الكاتب .

البيت الثاني :

أ- **فعل القول :** ما أنا إلا عاشق فلا يكون شأني إلا شأن جميع العشاق . ثم ذكر ذلك الشأن في الشطر الثاني . فكل عاشق مبتدأ والجملة استئناف .

ب-**الفعل القضوي :** ويشمل :

1-**فعل الإحالة :** وعناصره المكونة له هي :

- **المتكلم :** لا يوجـــد لفظ ظاهر (فعل القول) يحيل على متكلم معين بذاته ، ومن هنا فالسياق الخارجي وحده كفيل بان يرينا أن ذلك المتكلم هو المتنبي دون سواه .

[1] - المرجع نفسه ، ص 191 .

[2] - عبد الهادي بن ظافر : المرجع السابق ، ص 188 .

- **المخاطب :** وهو من قصده المتنبي في نفسه أنه يخاطبه ، ولا مانع بعـــد ذلك أن يتسع الخطاب لكل متلق وان لم يكن مستهدفا ابتداء .
- **الجملة أو العبارة :** وهي فعل القول " ما أنا إلا عشق " ، وقد اقتصرنا على هذه الجملة في الشرح لأنها مركزية في الكلام أو القول .
- **القصد :** ويتمثل في كون المتنبي يخاطب متلقيا ليبلغه مضمون الخطاب الـــذي تشترك في تحقيقه عدة عناصر ، لا قيمة لها إلا ضمـــن المجموعة المتضامنة عناصرها بعضها مع بعض .

ج-الفعل الانجازي (المتضمن في القول) :

وهو اسم الفاعل (لائم) ، أي أن كل عاشـــق كان له خليلان فعاملاه بالعقوق فالذي يلومه منهما على الجزع والبكاء فهو أشدهما عقوقا . وهذا ما جاء فـــي شرح العرف الطيب ، وهي جملة اثباتية تقريرية .

فالفعل الانجازي في هذه العبارة هو اللوم .

د- فعل التأثير : وهو الأثير على مخاطب قصد الاقناع ، أو اقناعه من جهة التأثير أو هما معا .

البيت الثالث :

أ- **فعل القول :** يعرض بصاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وان تظاهرا به وادعياه ولا ممن تلائمه صحبتهما لأنهما غير موافقين له في أحواله[1] .

والبيت كله جمل فعلية وهو مرتبط بالفعل المضارع (يستصحب) لأنه العامل فيها .

[1] - عبد الهادي بن ظافر : المرجع السابق ، ص189 .

ب- **الفعل القضوي** : ويشمل :

- **فعل الإحالة** : وعناصره هي :
- **المتكلم** : فالمقصود هنا بفعل القول ما يدل أن الذي يعزى إليه الخطاب هو الشاعر دون ســـواه .
- **المخاطب** : وهو من يحيل عليه السياق الخارجي وهو سيف الدولة .
- **الجملة أو العبارة** : وهو هنا الجملة الفعلية " تلائمه صحبتهما ".
- **القصد** : وتشترك في تكوينه عدة عناصر ، تعد أركانا ، لا وجـــود لقصد بدونها وهـــي المتكلم ، والمخاطب ، والعبارة الحاملة للقصد ، والسياق الحاضن [1].

وقصد الشاعر هنا تبليغ مضمون الفعل الانجازي .

- **فعل الإسناد** : وهو الفعل تلائمه المسند إلى ضمير الفاعل .

ج- الفعل الانجازي (الفعل المتضمن في القول) :

وهو اختيار الإنسان للصحبة التي تلائمه .

د- فعل التأثير : وهو حمل المتلقي على الإقرار بما أقره الكاتب رجاء تأثير القول في نفس المتلقي .

البيت الرابع :

أ- **فعل القول** : يدعو على نفسه بالبلى إن لـــم يقف بأطلالهم حائرا منحنيا كما يصنع البخيل إذا وقف يلتمس خاتمه في التراب .

[1] - عبد الهادي بن ظافر : المرجع السابق ، ص 190 .

ب- الفعل القضوي :

- **فعل الإحالة :**

- **المتكلم :** هو الشاعر أبو الطيب المتنبي .

- **المخاطب :** نرجح أن يكون المخاطب أهل زمان الشاعر ، ومـــن سبقوه فهم مـــن كانوا يقفون على الأطلال .

- **الجملة أو العبارة :** " يدعو على نفسه بالبلى " ، وهو فعل القول المتمثل في الجملة الفعلية ، الفعل والفاعل والجار والمجرور في محل نصب مفعول به .

- **القصد :** وهي توجه المتكلم إلى مخاطبه بالعبارة التي هي (فعل القول) ، لإبلاغه غرضه في إطار من السياق .

- **فعل الإسناد :** وهو ما تعلق بالجار والمجرور وتقديره ب (حائر) ، أي أنه حائر من تصرفات قومه .

ج-الفعل الانجازي (الفعل المتضمن في القول) :

وهو دعاؤه على نفسه بالبلى .

د- فعل التأثير: وهو حمل المتكلم مخاطبه على الإقرار بما أثبته ، كما يعتقد رجاء اتخاذه موقفا من تصرفاتهم .

البيت الخامس :

أ- **فعل القول :** اللواتي يعذلنني في الهوى يتجنبني ويحذرن جانبي كما يحذر الريض من الخيل من يشد له الحزام .

ب- الفعل القضوي :

- **فعل الإحالة :**

- **المتكلم :** هو الكاتب ، يحيل عليه السياق الخارجي .

- **المخاطب :** هي العواذل في الهوى ، وهذا لوجود قرينة لفظية من شأنها أن تحيل على المخاطب بعينه .

- **الجملة أو العبارة :** " اللواتي يعذلنني في الهوى " ، وهي الجملة الاسمية من المبتدأ (اللواتي) ، وخبرها الجملة الفعلية " يعذلنني في الهوى " .

- **القصد :** هو استهداف الشاعر لمخاطبه بمضمون العبارة ، وما فيها مـــن أفعال .

- **فعل الإسناد :** وهو فعل التقرير ، والذي عبر عنه بالضمير " هن " الذي يحيل عليه .

ج- الفعل الانجازي :

هو الحال من الضمير أقف في البيت السابق ، كذلك فعل توقاني الذي جاء للتحذير.

د- فعل التأثير : وهو ذلك الأثر الذي يحدثه الخطاب في نفس المتلقي وتحذيره بأن يتجنب الهوى .

البيت السادس :

أ-**فعل القول :** يريد أنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته فيقول لها قفي لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحييها .

ب- الفعل القضوي :

- **فعل الإحالة :**

- **المتكلم :** المتكلم هنا يتكلم باستعمال ضمير الغائب (هو) ، مع الضمير (هي).
- **المخاطب :** بالنسبة للمخاطب استعمل الضمير (أنت) ، في فعل القول وهو ظاهر اللفظ في قوله : (فعلت ، قفي ....).
- **الجملة أو العبارة :** " نظر إليها نظرة " ، وهي الجملة المكونة من الفعل والجار والمجرور المتعلقان بالمفعول به .
- **القصد :** هو استهداف الشاعر لمخاطبه ليعرف ما وصل إليه عندما رآها.
- **فعل الإسناد :** وهو الفعل " نظر " ، والفاعل وهو الضمير المستتر " هو " .

ج- الفعل الانجازي : استعمل فعل الأمر ليحقق غرضه ، فكأنه كان يريد إقناع المتلقي بما حصل له عند رؤيتها .

د- فعل التأثير : يريد الكاتب إقناع المتلقي بما وصل إليه الشاعر من قناعة .

البيت السابع :

أ-**فعل القول :** لما جعل هؤلاء النسوة زهرا وجعل الخدور كمائم لهن دعا لهن بالسقيا وجعلهن مما يحيا به على عادة الناس أن يحيي بعضهم بعضا بالأزهار والرياحين.

ب- الفعل القضوي :

- **فعل الإحالة :**

- **المتكلم :** وهو الكاتب حيث استعمل ضمير الجمع ، غير أن هــذا الضمير لا يحيل على متكلم بعينه ، لذلك لا بد من التعويل على السياق الخارجي ، فانه وحده الكفيل بان يرينا أن المحال عليه بهذا الضمير هو النسوة .

- **المخاطب :** وهو الكاتب .

- **الجملة أو العبارة :** " جعل هؤلاء النسوة زهرا وجعل الخدو كمائم " ، فكلتا الجملتين مركزيتين .

- **القصد :** استهداف الكاتب المتلقي لإبلاغه غرضه فيه .

- **فعل الإسناد :** وهو الفعل الماضي " جعل " .

ج- فعل الانجاز (المتضمن في القول) :

وهنا الفعل الانجازي هو (جعل) ، وهــو يوحي بمكانة هؤلاء النسوة والرفع مــن شأنها .

د- فعل التأثير : وهو حمل المتلقي على الاقرار بما أثبته لنفسه من استقلالية في الرأي وعرض شؤون الحياة .

البيت الثامن :

أ- فعل القول : يقول ما حاجة هؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل فان من وجدك لم يعدم القمر لأنك قمر مثله .

ب- الفعل القضوي :

- **فعل الإحالة :**
- **المتكلم :** المتكلم هنا هو الشاعر ، ويفهم ذلك من قوله : يقول .
- **المخاطب :** وهي المرأة التي يعشقها .
- **الجملة أو العبارة :** " إن من وجدك لم يعدم القمر " ، الجملة الاسمية المؤكدة واسمها (من) وخبرها الجملة الفعلية " لم يعدم القمر " .
- **القصد :** وهو استهداف هذه المرأة بهذه العبارة في سياقها الحاضن لها .
- **فعل الإسناد :** وهو اسم " إن " وخبرها .

ج- الفعل الانجازي (المتضمن في القول) :

استعمل هنا اسم الفاعل ليدل علـــى الفعل الانجازي ، فالكاتب يقرر ويؤكد فـــي قوله : (فان من وجدك ....).

د- فعل التأثير : وهو حمل المتلقي على أن يقر بما يؤمن به .

2- الاشـــاريات :

يقول أبو الطيب المتنبي[1]:

نحن من ضايقك الزمان له فيـــ ـــك وخانته قربـــك الأيـــام

جاء في شرح ديوان أبي الطيب لليازجي :

" نحن الذين ضايقهم الزمان لنفسه ولا جله فيك أي لتكون له دونهم كما تقول هم الذين رضيهم عمر وله . أي لنفسه . وقربك مفعول ثان . يشير إلى أن الزمان يحبه فيغار على قربه ويريد أن يستأثر به دون الناس فلذلك منعهم لقاءه وخانتهم الأيام في قربه ".

استعمل اليازجي ضمير المتكلم " نحن " في بداية خطابه خاصة عندما يكون المرسل إليه هو إحالته لفظا على المرسل عندما ينتقل هذا الخبر إلى مرسل إليه آخر، ويكون المرسل إليه حاضرا ، إلا عند افتراضه وجود اعتراض مسبق لكلامه ، أو تساؤل ، وفي هذه الحالة تكون الأداة الاشارية ضميرا مستترا ، وهي من الاشاريات التي تدرك الإحالة عليها من السياق ، فلا يتلفظ بها المرسل لدلالة الحال عليه ، ويتطلب بعضها حضور أطراف الخطاب حضورا عينيا .

أ- ضمائر المتكلم :

تعد ضمائر المتكلم من أعرف الضمائر ، لأنها لا تحيل إلا على صاحب القول .

يقول المتنبي[2] :

بذب الغباوة من إنشادها ضرر كما تضر رياح الورد بالجعل

[1] - ناصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر ، د ط ، ص 297 .
[2] - نفس المرجع ، ص 306 .

جاء في كتاب العرف الطيب في شرح هذا البيت :

" أي إذا اشتدت تلك المدائح اغتاظ منها الجاهل فتضرر بها كما يتضرر الجعل بريح الورد ".

وكذلك يظهر هذا الضمير في قوله : " أي قد يظن من خفة ونزق شجاعا وقد يظن من به رعدة من غضب أحيانا وإنما يتحقق الأمر بعد التجربة . والمعنى أني مدحتك بالشجاعة بعد اختبارك ومعاينة أفعالك فأنا أقول ما أقوله عن يقين .

وهذا شرح للبيت :

فقد يظن شجاعا من به خرق وقد يظن جبانا من به رمع[1]

فهنا إحالة على ضمير المتكلم " أنا "، وفي هذا يقول ابن يعيش : " فأعرف المضمرات المتكلم ، لأنه لا يوهمك غيره ، ثم المخاطب ، والمخاطب تلـــو المتكلم فـــي الحضور والمشاهدة ، وأضعفها تعريف كناية الغائب ، لأنه لا يكـــون كناية عـــن معرفة ونكرة حتى قال بعض النحويين كتابة النكرة نكرة .

ب- ضمائر المخاطب :

استخدمت ضمائر المخاطب في شرح ديوان أبي الطيب بجميع أصنافها وهي المفرد والمثنى والجمع ، يقول اليازجي : " يقول ردك الله علينا وأنت أغنم راجع تلقاك الأبصار مرفوعة إليك شوقا ".

[1] - ناصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر ، د ط ، ص 346 .

وهذا في شرح بيت المتنبي :

وصدرت أغنم صادر عن مورد مرفوعة لقدومك الأبصار [1]

وورد الضمير المنفصل " أنت " ، الذي يحيل على مرجع يكمن في المفرد المخاطب .

ويقول اليازجي أيضا في شرحه لقول المتنبي :

وأشقى بلاد الله ما الروم أهلها بهذا وما فيها لمجدك جاحد[2]

" يقــول أشقى بلاد الله التي أهلها الروم وشقاؤها إنما هو بكونك على هــذه الحال من البطش و الإقدام ومع ذلك فليس فيها مــن يجحد مجدك وينــكر ما فيك مــن الشجاعة والبأس "

ج- ضمائر الغائب :

وردت ضمائر الغائب بجميع أصنافها في العرف الطيب ، ونقتصر على بعض نماذجها منها قول اليازجي : " أي أن دموعهن قد نشرته للحزن ثم قطرت من شعرهن على الأرض وهي سود لغلبة لون المسك عليها . وإنما قال من المسك وحده أي لا من الكحل لأنهن غنيات عنه بسواد جفونهن خلقة ".

وهدا في شرح بيت المتنبي الذي قال فيه :

تبل الثرى سودا من المسك وحده وقد قطرت حمرا على الشعر الجثل[3]

وفي قوله أيضا : " يريد الشاعر نفسه والتفكير للوحدة . وقوله منهم الضمير للشعراء استغنى عن تقدم ذكرهم بالقرينة ، يعني أن غيره من الشعراء يعون الشعر والقصائد له لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعرا ، ويمكن أن يكــون المراد أنهم يأخــذون كلامه ويدعونه لأنفسهم فالشاعر في الحقيقة هو وغيره شاعر بادعاء شعره .

[1] - ناصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر ، د ط ، ص 307 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 269 .
[3] -المرجع نفسه ، ص 310 .

وهذا في شرحه لبيت المتنبي الذي قال فيه :

خليلي إني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد[1]

فاستعمل الضمير" هن " ، واستعمال ضمائر الغائب تتدخل فيه أبعاد تداولية ، فالمتكلم لم يذكر المرجع المقصود باسمه ، بل أشار إليه بتلك العناصر الاشارية .

[1] - المرجع السابق ، ص 345 .

الخاتمة

الخاتـــــــمة :

وفي خاتمة هذا البحث ، لابد من أن نذكر بأن اعتماد " المنهج التداولي " وتوظيفه في قراءة التراث العربي ، وتطبيقه على الشروحات الشعرية تشكل مادة خصبة للدراسات التداولية لما فيها من قضايا لغوية وسياقية ، كما أنها غنية بجوانب مهمة من الدرس التداولي ، فقد تنوعت فيها الأفعال الانجازية ، والاشاريات ، فقد ساهمت الاشاريات في الشروحات الشعرية في تأسيس العملية التخاطبية .

ومن خلال هذه الدراسة يمكن الوصول إلى عدة نتائج من أهمها :

- الشروحات الشعرية هي خطابات تنوعت أساليبها بتنوع المخاطبين .
- المنهج التداولي في إنتاج الخطاب يتجاوز المستوى الدلالي ، ويبحث في علاقة العلاقات بمؤوليها ،وذلك بدراسة اللغة عند استعمالها مع مراعاة مقاصد المتكلمين.
- إن جوهر الأفعال الكلامية هو القسم المسمى الفعل الإنجازي ، وعليه فهو الذي يستحق عناء الدراسة والتصنيف كما فعل سيرل والجهد الذي بذله في عرض الأفعال الكلامية باعتباره هو العرض النموذجي للنظرية بوصفه يبين القيمة الفلسفية والتداولية ، و لا سيما تحليله للمكونات والأسس التصنيفية للفـــعل الإنجازي .
- خرجت الكثير من الأفعال الانجازية المباشرة إلى معان انجازية غير مباشرة يفسرها المقام الذي وردت فيه .
- لم يكن اليازجي مجرد شارح ، بل انتبه إلى أهمية الملفوظ في سياق معين بغية الوصول إلى مقاصده .

وفي الختام أتمنى أنني وفقت الى حد ما ، وأعطيت صورة واضحة عن هذا البحث ، فان أصبت فمن الله وحده وان أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان . والحمد لله .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، المجلد 11 ، 2010 .

2- احمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ،

3- آن روبول ، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ، دار الطليعة للنشر، بيروت ، لبنان ، ط 1،2003 .

4- أنيس المقدسي ، تطور الأساليب

5- ايمان البقاعي ،المتقن في تاريخ الأدب العربي ،

6- بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ،

7- بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأندلس والانبعاث ،

6- بلا نشيه فيليب ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط 1 ، 2007 .

8- جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ،

9- جورج عبدو معتوق ، المتنبي شاعر الشخصية القوية ،

9- حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ،

10- خليل شرف الدين ، الموسوعة الأدبية الميسرة ،

11- ديوان المتنبي ،شرح أبي البقاء العبكري ،

12- رنيف خوري ، الفنون الأدبية وأعلامها في عصر النهضة العربية ،

13- ريجيس بلانشير ، أبو الطيب المتنبي ،

14- زكي المحاسني ، شعر الحرب في أدب العرب ،

15- الزمخشري ، محمود بن عمر، أساس البلاغة ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 ،1998 .

16- سابا ، ميخائيل عيسى ، نوابغ الفكر العربي ،

17- شفيق البقاعي ، أدب عصر النهضة ،

18- شكيب محمد أنصاري ، تطور الأدب العربي المعاصر،

19- الشهري ، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط1 ، 2004 .

20- صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2005 .

21- طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ،2000 .

22- عبد الله التطاوي ، القصيدة العباسية –قضايا واتجاهات –

23- عبد الحكيم سحالبة ، التداولية امتداد شرعي ،

24- عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان المتنبي ،

25- عبد الوهاب عزام ، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ،

26- عتيق عبد العزيز ، علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009 .

27- عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث

28- فاطمة محمود الجوابرة ، موسوعة روائع الشعر،

29- فرانسوار ارمينكو، المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، المغرب ، د.ط ، 1986 .

30- الفيروز أبادي مجد الدين ، القاموس المحيط ، بيروت ، لبنان ، ط 8 ، 2005 .

31- فؤاد أفرام البستاني ، الروائع ،

32- لجنة من أدباء الأقطار العربية ، الفن القصصي ، المقامة

33- مازون عبود ، مؤلفات مازون عبود ،

34- ماهر الكيالي ،المتنبي ،

35- مجدي وهبة وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية ،

36- مزيد بهاء الدين محمد ، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي ، تبسيط التداولية شمس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ،2010 .

37- محمد زغلول سلام ، الأدب في عصر العباسيين ،

38- مصطفى أمين الرفاعي ، المتنبي وشوقي ،

39- منير سلطان ، الصورة الفنية في شعر المتنبي ،

40- ناصيف اليازجي ، العرف الطيب ،

41- نحلة محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر، د.ط ، 2002 .

42- نوابغ العرب ، أبو الطيب المتنبي ،

43- يوسف خليف ، في الشعر العباسي ،

44- يونس علي محمد محمد ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 .

المجلات :

21- باديس لهويمل ، التداولية والبلاغة العربية مجلة المخبر جامعة محمد خيضر بسكرة العدد السابع ، 2011 .

22 -يسمينة عبد السلام ، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، الجزائر، العدد 10 ، 2014 .

الرسائل الجامعية :

24- أحلام صولح ، أفعال الكلام في نهج البلاغة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، دفعة 2013/2012 .

25- حليمة بوالريش ، أفعال الكلام في الخطاب القرآني "سورة البقرة أنموذجا "، دفعة 2011-2012 ، رسالة ماجستير .

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

تشكرات

- إهداء

- مقدمة .....ا.ب.ج

الفصل الأول : التداولية وأصولها الفلسفية وعلاقتا بالعلوم الأخرى

- ماهية التداولية 05

- المفهوم المعجمي للتداولية.....05

- المفهوم الاصطلاحي للتداولية 07

- مميزات التداولية 08

- الأصول الفلسفية للتداولية.....09

- مفهوم الفلسفة التحليلية 10

- فنغنشاين فلسفة اللغة العادية.....11

- الجهاز المفاهيمي للتداولية.....13

- الافتراض المسبق.....19

- الاستلزام الحواري.....20

- الفعل الكلامي.....21

- الفعل المتضمن في القول(الفعل الانجازي).....22

- الفعل التأثيري 22

- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى.....26

- علاقة التداولية باللسانيات 26

- علاقة التداولية بعلم الدلالة 27

- علاقة التداولية بلسانيات النص/الخطاب.....27
- علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية 28
- علاقة التداولية باللسانيات النصية 28

الفصل الثاني: السيرة والنشأة (المتنبي – اليازجي)

- سيرة المتنبي 30
- نشأته وحياته.....30
- صفاته وأخلاقه 35
- مكانته الشعرية 39
- أغراضه الشعرية.....40
- المدح 40
- الوصف 40
- الفخر.....40
- الهجاء 41
- الرثاء 41
- الحكمة 42
- مقتله.....43
- سيرة اليازجي 45
- نشأته وحياته 45
- صفاته وأخلاقه 46
- تاريخ الأسرة اليازجية.....47
- ناصيف والملوك 48
- حياة الدرس والتأليف 50

– مرضه ووفاته.....52
–أدبه 53
- مؤلفاته 54

الفصل الثالث : نماذج من العرف الطيب

– نماذج من العرف الطيب.....56
- نماذج تطبيقية على الأفعال الانجازية.....58
- فعل القول 59
- الفعل القضوي 60
– الفعل الانجازي 62
– الاشاريات.....65
– ضمائر المتكلم 65
- ضمائر المخاطب 66
– ضمائر الغائب.....68
خاتمة.....72
المصادر والمراجع.....74
فهرس الموضوعات.....79